مجلة جامعة الملك سعود، م٧، الآداب (٢)، ص ص ٤٥١ ـ ٥١٣ (١٤١٥هـ /١٩٩٥م).

عبدالعزيز بن موسى بن نصير وأسباب مقتله: دراسة تحليلية لأحداث التاريخ الأندلسي المبكر

عبدالغفور بن إسماعيل روزي

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب،
جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد بتاريخ ١٤١٤/٦/٢٣هـ، وقُبِلَ للنشر بتاريخ ١٤١٥/١/١٧هـ)

ملخص البحث. يعاني التاريخ الأندلسي المبكر من تغلفه بغطاء أسطوري يجعل من الصعب اختراقه للوصول إلى حقائق أحداثه. ولقد خلق هذا الوضع نوعًا من الإصرار لدى المؤرخين الذين أخذت اهتماماتهم بهذه الحقبة تتزايد حيث نتج منها محاولات لفصل الوقائع الحقيقية مما غلفها من أساطير.

هذا البحث محاولة متماشية مع هذا الاهتمام، فهو وإن لم يركز على أحداث الحقبة المبكرة جدًا إلا أنه يصب اهتمامه على مستهل الحقبة التالية لها مباشرة، وهي الحقبة التي تعرف بفترة الولاة، ويجعل بناء على ذلك، من قضية مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير، أحد قادة فتح الأندلس وأول وال يحكم الأندلس ما بعد الفتح، محور اهتمامه حيث يناقش ملابسات مقتله على يد رؤساء الأجناد الأندلسية ويورد الأسباب والدوافع المؤدية إليها.

وفي سبيل البحث للوصول إلى فهم واضح لهذه الحادثة فإنه يطرح المبررات التي أعطيت كأسباب لها، والتي تنحصر فيما قيل من وقوعه تحت رغبات زوجه التي جعلته يلبس تاجًا ويصغر باب الدخول عليه تشبها بما كان يقوم به ملوك القوط النصارى، كذلك يطرح قضية ضلوع الخليفة سليمان بن عبدالملك في مؤامرة القتل.

بعد أن يخضع البحث روايات القتل هذه للمعاينة المتمعنة وإلى الدراسة النقدية التحليلية يخلص إلى قرار عدم تقبله لها، ويطرح عوضا عن ذلك استنتاجه القائل إن أسباب مقتل عبدالعزيز تعود إلى

الظروف السياسية المرحلية التي كانت تمر بها الأندلس حينذاك من ضعف في الحكومة المركزية ونشوء صراعات على السلطة بين القوى السياسية العسكرية في فترة بناء أول حكومة إسلامية في الأندلس.

مقدمة

كانت سنوات التاريخ الأندلسي المبكرة ولا تزال، بالمقارنة إلى قرونها الأخرى، من أكثر السنوات استئثارًا لاهتمام المؤرخين. وهذا الاستئثار لا يمكن عزوه إلا لعامل واحد فقط. وهو أن الفتح الإسلامي للأندلس كان حدثًا باهرًا لم يمتلك المؤرخون أمامه إلا الانبهار ومن ثم توجيه القدر الأكبر من اهتمامهم عليه.[1]

(١) إن اهتمام المؤرخين بتسجيل أحداث الفتح الإسلامي للأندلس، سواء في الماضي أو الحاضر، قد نتج عنه توافر عدد غير قليل من المصادر والمراجع يمكن إيراد بعضها كدلالة على ما نقول: لقد استهل الكتابة التاريخية في موضوع فتح الأندلس مؤرخ الأندلس الأول عبدالملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ) بتأليف كتاب بعنوان *تاريخ استفتاح الأندلس*، وقد نشره محمود علي مكي في *مجلة معهد الدراسات الإسلامية* في مدريد، ع٥ (١٩٥٧م)، ص ص ٢٢١ ـ ٢٤٣، ويُذكر أن أحمد الرازي (ت ٢٢٧هـ)، وهو من عائلة اشتغل أفرادها في التأليف التاريخي، قد كتب هو الآخر كتابا عن أحداث الفتح الأندلسي باسم «كتاب الرايات» غير أن هذا الكتاب كما هو الحال بالنسبة لمعظم ما ألفه أفراد هذه الأسرة قد ضاع. ثم تلا هذين المؤلفين معارك بن مروان أحد أحفاد موسى بن نصير [معارك بن مروان بن عبدالملك بن مروان بن موسى بن نصير «لا يعرف له تاريخ وفاة»]، حيث ألف ـ كما يشير الحميدي ـ كتابًا في تاريخ الفتح تناول فيه دور جده موسى. ويعتقد أكثر من مؤرخ حديث أن الجزء الخاص بموسى في كتاب *الإمامة والسياسة* المنسوب لابن قتيبة الدينوري هو الكتاب الذي ألفه معارك. نحن بناء على ذلك نستعمل عبارة المنسوب لابن قتيبة حينما نشير إلى هذا المصدر توضيحًا لهذه النقطة. انظر مناقشة عبدالواحد ذنون طه في هذه المسألة، *نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس*، سلسلة الموسوعة التاريخية (بغداد: دار الشؤون العامة، ١٩٨٨م). كما يشير المؤرخون إلى أن مؤرخًا أندلسيًا وهو عبدالله بن حكيم (ت ٢٤١هـ) قد كتب كتابًا عن أنساب الداخلين إلى الأندلس (مفقود). وقد توج هذا الاهتمام ابن القوطية الأندلسي (ت ٣٦٧هـ) بتأليف كتاب *تاريخ افتتاح الأندلس*، وصاحب المؤلف المجهول *أخبار مجموعة* (كلاهما مطبوعان). ويمكن أن نضيف أن هناك كتابات لمؤلفين مجهولين أيضًا في موضوع الفتح الأندلسي (نشر أحدهما خوليان ريبرا Julian Rabera في مدريد ١٩٢٦م، والثاني نشره دون خوان دي كونثالث في الجزائر ١٨٨٠م). وقد ذكر المقري في *النفح*، جـ١، ص٢٨٢ أن يحيى الغزال ألّف أرجوزة عن فتح الأندلس.

الفتح كحدث تاريخي له من مقومات القوة ما يجعله جديرًا بهذا الاستثمار الملحوظ. فقد كان فتحًا تكامل فيه كل عناصر التفوق العسكري من سرعة وحسم ونجاح. سريع، لأن عمليات الفتح العسكرية قد اكتملت في أربع سنوات (٩١ ـ ٩٥هـ)، وهو زمن قصير ـ إذا ما اعتبرنا القوة العسكرية التي كانت تحت حوزة القوط، وهم القوة المدافعة عن الأندلس حاسم، لأنه بعد هذه السنوات الأربع القصيرة كانت كل القوى المحلية المدافعة قد أمكن إقصاؤها وغدا الفتح الإسلامي على شبه الجزيرة الإيبيرية كاملاً. وبذلك أصبح مسمى الأندلس هو المرادف، في نظر المؤرخين، لمناطق الانتشار الإسلامي يغطي تقريبًا كامل الجزيرة الإيبيرية فيما عدا بعض أجزائها الشمالية الشرقية.(٢) ناجح، لأن الخسائر في صفوف الجيش الإسلامي الفاتح كانت محدودة بالقياس إلى حجم المعارك ومساحة شبه الجزيرة الإيبيرية الشاسعة؛ يضاف إلى ذلك أن الجيش لم يفقد أحدا من قادته العسكريين الثلاثة (طارق بن زياد، وموسى بن نصير، وعبدالعزيز بن موسى بن نصير).

إن انبهار المؤرخين بالفتح بالصورة التي أوجزناها وتزاحمهم على تسجيل أحداثها لم ينتج عنه ذلك الكم الوافر من المؤلفات فقط، ولكن الحماس الذي ملأ نفوس المؤرخين

= وقد تواصل الاهتمام بالفترة ذاتها في العصور الحديثة، حيث يمكن تقديم أمثلة لها بكتاب إدوارد سافيدرا E. Saavedera الذي يعد من الأوائل الذين تصدوا للحقبة المشار إليها بكتاب *La Invasion de los Arabes en Espana* «الفتح العربي في أسبانيا.» وفي السنة ١٩٥٩م كتب حسين مؤنس كتابه *فجر الأندلس*، ثم تلاه عبدالواحد ذنون طه بـ *الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس* (بغداد ١٩٨٢م). وتجدر الإشارة هنا أن مجلة *Historia* الأسبانية. ع N:156-XIV (إبريل ١٩٨٩م) الصادرة في مدريد قد خصصت ملفًا عن تاريخ الفتح الإسلامي للأندلس.

(٢) هناك شبه اتفاق بين المؤرخين على حصر استعمال مسمى الأندلس جغرافيًا على المناطق التي غدت تحت حكم المسلمين في الجزيرة الأيبيرية، وتاريخيًا تشمل القرون الزمنية التي كانت فيها الجزيرة تحت الحكم الإسلامي. أي بمعنى آخر كان المسمى مرادفًا للوجود الإسلامي فيها زمنيًا وجغرافيًا. وفي المقابل تستعمل المسميات الأخرى التي عرفت بها الجزيرة، إيبيريا وأسبانيا، للفترات السابقة واللاحقة لحقب الوجود الإسلامي. انظر: ج. س. كولان، *الأندلس*، ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية، كتب دائرة المعارف الإسلامية (٢) (بيروت: دار الكتاب، ١٩٨٠م)، ص ص ١١٧ ـ ١٦٠؛ الطاهر مكي، *دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة* (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م)، ص ص ٩ ـ ٣٤.

لمتابعة وقائع الفترة نتج عنه إفراط بعيد عن الواقع ومبالغات لم تتضح فيها الحقيقة من الخيال. ولعل فيما يذكره لسان الدين بن الخطيب فيه مثل على ما نقول: «وحديث الفتح وما فتح الله على الإسلام من المنح، وأخبار ما أفاء الله من خير، على موسى بن نصير، وكتب من جهاد، لطارق بن زياد، مملول قصاص وأوراق وحديث أفول وأشراف، وإرعاد وإبراد وعظيم امتشاش، وآلة معلقة في حانوت قشاش.»[٣]

وقد أعاد محمود علي مكي صياغة ما عبر عنه لسان الدين بن الخطيب بأسلوب أقرب إلى الفهم بقوله: «وقد ألهب هذا الفتح الكبير بما تضمنه من أحداث وبطولات أخيلة الناس من الشرق والغرب على حد سواء، ونتج عن ذلك أو ولّد قصة الفتح مجموعات وحلقات متعاقبة من الأساطير والأحاديث الخرافية والملحمية ظلت تتزايد وتنمو باطراد، مثل كرة الثلج على حد قوله، طوال القرون التالية.»[٤]

وقد نتج عن هذه الوفرة مما كُتب عن تلك السنوات المبكرة من عمر التاريخ الإسلامي الأندلسي، وعن الشعور المتزايد لدى المؤرخين بأن تلك الحقبة تحتاج إلى فصل تاريخها الأسطوري عن الواقعي، وبدأت تظهر دعوات إلى إعادة تقويمها ودراستها من جديد. وقد بدا ذلك واضحًا من خلال الحركة النشطة الموجهة من قبل دارسي الأندلس

---

(٣) لسان الدين بن الخطيب، *كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام*، تحقيق: ليفي بروفنسال (نشر بعنوان تاريخ أسبانيا الإسلامية) (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م)، ص ص ٥ ـ ٦.

(٤) محمود علي مكي «الأساطير والحكايات الشعبية المتعلقة بفتح الأندلس،» *مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية*، مدريد، م٢٣ (١٩٨٥/١٩٨٦م)، ص ص ٢٧ ـ ٥٠؛ انظر كذلك: محمود علي مكي، «إحراق المراكب حول رحلة أسطورية في أساطير البطولة من اليمن الجاهلية إلى عصر الفتوح الأمريكية،» *دراسات في الأدب واللغة مهداة من أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة* العربية وآدابها إلى جامعة الكويت بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسها. (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٧٦/١٩٧٧م)، ص ص ١٦ ـ ٤٧.

لهذه الحقبة وظهور أكثر من دراسة تحاول أن تخترق ضباب الأساطير والخيالات لتعيد المسار التاريخي إلى وقائعها الأقرب إلى الصحة.(٥)

وعلى الرغم من اهتمامنا بالحقبة المبكرة من التاريخ الأندلسي إلا أننا نتجاوز مرحلة الفتح العسكري للأندلس إلى المرحلة التي تليها مباشرة، وهي في الحقيقة مرحلة متولدة عنها، سواء في وقائعها المتواصلة أو في استمرارية شخصياتها الذين قاموا بالأدوار الرئيسة فيها، ومن الطبيعي أثروا في نتائجها أيضًا. بحثنا هذا المتعلق بدراسة الروايات التاريخية التي تتحدث عن أسباب مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير يهدف أولاً إلى دراسة هذه الحادثة دراسة ثانية يأمل منها ليس فقط استنطاق هذه الروايات ومحاولة الخروج منها بأفكار جديدة تعيد، ولو بعض الشيء، الوقائع التاريخية إلى مساراتها الحقيقية ولكن تحاول أيضا النظر إلى الحقبة العسكرية وما بعدها، كحقبة واحدة متفاعلة ومؤثرة على بعضها البعض. وهناك بدون شك أكثر من رابط بين المرحلتين، ولكن وجود عبدالعزيز بن موسى كأحد الفاتحين وكصاحب الحدث الذي يدور حوله هذا البحث يجعل تداخل المرحلتين واضحاً إلى حد كبير.

---

(٥) هناك أكثر من دراسة يمكن الاستدلال بها على ما نقول، ولكن نذكر هنا بعض الأمثلة فقط: حسين مؤنس، «رواية جديدة لفتح الأندلس،» *مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية*، مدريد، ع١٨ (١٩٧٥م)، ص ص ١٧٢ ـ ٢٢٢؛ عبدالحليم عويس، «قضية إحراق طارق بن زياد لسفنه الحربية في المصادر التاريخية،» *مجلة الحرس الوطني*، س٧، ع٥١ (جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ص ٧٥ ـ ١٣٥، وقد أعيد نشره بعنوان «قضية إحراق طارق بن زياد للسفن بين الأسطورة والتأريخ،» *الكتاب السنوي لقسم التاريخ والحضارة*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، السنة الأولى (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ص ١٧٠ ـ ٢٢٧؛ محمد عبدالحميد عيسى، «فتح الأندلس، رواية متجددة،» *أوراق*، المعهد الأسباني ـ العربي للثقافة، ع ع ٥ ـ ٦، مدريد (١٩٨٢/١٩٨٣م)، ص ص ٢٧ ـ ٨٣؛ محمد محمد زيتون، «الفتح الإسلامي للأندلس ـ دراسة وتحليل»؛ للمؤلف أيضًا أكثر من بحث في الموضوع نفسه منشورة كلها في أعداد متفرقة من *مجلة كلية العلوم* الاجتماعية ـ جامعة أم القرى؛ عبدالسلام الهراس، *طارق بن زياد وخطبته* (القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٣/١٩٨٢م)؛ Sanchez Albornoz. "Precisiones sobre Fath al-Andalus," *Revista del Instituto de Estudios Islamicos*, Madrid, 9-10 (1961 - 1962), 18-28.

وللإجابة عن التساؤلات البديهية التي قد تثار حول أسباب اهتمامنا بعبدالعزيز بن موسى بن نصير، وعن هدفنا من كشف ملابسات أسباب مقتله، سنوضح الأهمية التي يستحقها، سواء كفرد كان له وجود في تلك الحقبة من العمر الأندلسي المبكر، أو كمسؤول كان عليه أن يتولى المسؤولية خلالها. وهل تأتي أهميته من كونه أحد المنجزين للفتح الإسلامي للأندلس، أو تأتي من كونه أول والٍ عليها بعد الفتح مباشرة؟ وماذا يعني مقتله بناء على ما عرفنا عنه من خلال الإجابة عن هذه التساؤلات؟ هي ينبغي أن يؤخذ مقتله كحدث عادي أو كواقعة مهمة لها آثارها على تشكيل المسار التاريخي للحقبة. هل مقتله حدث عارض أو عمل ينبغي البحث في أسبابه من خلال الظروف التي كانت تمر بها الأندلس آنذاك؟ وأهم من كل ذلك، ماذا يمثل مقتل عبدالعزيز كحدث تاريخي في أحداث تلك الحقبة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات يتوجب علينا أن نطرح النقاط التالية: أولاً فيما يتعلق بعبدالعزيز والاهتمام الذي نوليه عليه وأهميته كقائد عسكري فاتح للأندلس، ومن ثم كأول حاكم عليها، هناك نقطة ينبغي أن نستهل إجابتنا بها. وهذه هي أن عبدالعزيز، سواء كقائد أو حاكم، نادرًا ما يوجد له ذكر أو مكان في السجل التاريخي في كلتا الحالتين. فعند الحديث عن الفتح فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو اسما كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير مرادفين لبعضهما البعض كفاتحين وحيدين للأندلس. ولكن في مقابل ذلك قلما يؤتى باسم عبدالعزيز كشريك في هذا الفتح ومسهم في إنجازاته. إن المصادر التاريخية بتجاهلها المستمر لعبدالعزيز والتجاوز الدائم لإنجازاته تتحمل القدر الكبير من المسؤولية في هذا التعتيم الذي أبقاه في الظل البعيد في هذا الإسهام العسكري. ولكن من الواضح أيضا أن المصير الذي انتهى إليه عبدالعزيز بمقتله المفجع قد أسهم ليس فقط من تقليل شأن وجوده كحاكم خلال تلك المرحلة، ولكن أيضا إلى خمود ذكره في الفترات الأندلسية اللاحقة.

أهمية عبدالعزيز بن موسى بن نصير كقائد فاتح تكمن في أنه هو فعليًا الفاتح الثالث للأندلس. صحيح أنه لم يدخل الأندلس كقائد عسكري مثل طارق بن زياد وكقائد أعلى للجيش الإسلامي المغربي مثل موسى بن نصير، ولكن عبدالعزيز الذي دخل الأندلس

كقائد ثانوي في جيش والده[٦] قد علا شأنه عسكريًا بعد الدخول وأصبح له دور مساوٍ لأدوار كل من موسى وطارق فيما إذا اعتبرنا المساحات الجغرافية من شبه الجزيرة الإيبيرية التي أسهم كل واحد من هؤلاء القادة بفتحها. إذا كان كل من موسى وطارق هما فاتحي الأندلس من جنوبه ووسطه وشماله، فإن عبدالعزيز هو فاتح الأطراف الأندلسية الغربية والشرقية والجنوبية، يضاف إليه فتحه لمدينة أشبيلية للمرة الثانية بعد أن فتحها موسى للمرة الأولى. أي أن عبدالعزيز هو فاتح الشواطىء الأندلسية كلها ومساحة هذه المناطق جغرافيًا توازي، إن لم تزد على مساحات المناطق الداخلية التي فتحها كل من طارق وموسى. يضاف إلى ذلك أن لعبدالعزيز مواجهات عسكرية مهمة مثل تلك التي واجهها مع الكونت تدميروس Tudmiros حاكم مقاطعة تدمير Tudmir والتي كانت تغطي معظم الشرق والجنوب الأندلسي.[٧] ويستحسن أن نشير هنا إلى أن موسى كقائد أعلى للعمليات العسكرية في الأندلس، قد اعترف لعبدالعزيز بهذا الفضل العسكري.[٨]

الأهمية التالية لعبدالعزيز بن موسى بعد القيادة العسكرية هي توليته الولاية للأندلس كأول والٍ مسلم يتولى هذه المسؤولية بعد الانتهاء من الفتح مباشرًا. وهذه مسؤولية جسيمة بدون شك، ولكن من خلال النزر اليسير جدًا من المعلومات التي تقدم عبدالعزيز في عمله هذا يمكن القول إنه يبدو أنه حقق فيه نجاحًا نسبيا لا ينبغي أن نحكم عليه فيه إلا من خلال مقاييس تلك الحقبة بالتحديد. ويقول أحمد الرازي وهو من رواد المؤرخين في الأندلس: «لما نقل موسى بن نصير استخلف ابنه عبدالعزيز على الأندلس فضبط سلطانها ومد نفوذها وافتتح مدائن كثيرة، وكان من خير الولاة إلا أن مدته لم تطل

(٦) ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي، *تاريخ علماء الأندلس*، المكتبة الأندلسية ـ ٢، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م)، رقم ٨٣٣، ص٢٧٦.

(٧) عن عبدالعزيز بن موسى ودوره العسكري في فتح الأندلس، انظر: محمود شيت خطاب، «عبدالعزيز بن موسى فاتح شطر الأندلس،» *مجلة المجمع العلمي العراقي*، ع١، مج ٤٠ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ص ٥٦ ـ ٩١.

(٨) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، وقد نشرت القطعة من هذا الكتاب والمتعلقة بموسى بن نصير وأحداث الفتح كملحق لكتاب ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس* باسم «قصة فتح الأندلس» (بيروت: دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧م)، ص٧٣. ولذا فنحن حينما نشير إلى هذا المصدر فإننا نشير إلى هذه الطبعة وليس إلى كتاب *الإمامة والسياسة* لابن قتيبة.

لوثوب الجند عليه وقتلهم له لأشياء نقموها عليه.»[٩] إن نص الرازي السابق يشير إلى أن عبدالعزيز قد نجح في وضع اللبنة الأولى للتنظيمات الإدارية الإسلامية التي كان على الأندلس أن تتحول إليها في بداية مراحل الاستقرار والتنظيم الحكومي. لاشك أنها كانت النواة الأولى، ولاشك أن عبدالعزيز قد وضع فيها جهده المستطاع مستفيدًا إلى الحد الأقصى من الإمكانات المحدودة التي كانت متوافرة له. وعليه فإن عبدالعزيز مثلما كان قائدًا منجزًا في مراحل الفتح، كان أيضًا واليًا تعود إليه أولى نجاحات تحويل أندلس ما بعد الفتح من الأساليب الحكومية التي كانت تُحكم بها على يد حكامها من القوط إلى النظام الإسلامي. إن الأولويات التي يتمتع بها هذا الرجل تجعل دوره في هذه الناحية مكملاً لإنجازاته العسكرية، ومن الإنجازين معًا تكتمل أهمية عبدالعزيز في خلال هذه الحقبة المبكرة من عمر التاريخ الأندلسي.

أما عن حادثة مقتله وأثرها على الأندلس بعد ذلك، فنحن وإن كنا لا نستبق الأحداث، إلا أنه يمكن القول إن مقتل أحد قواد الفتح الثلاثة، وكذلك والي الأندلس الأول على يد المسلمين، لابد وأن يكون حدثًا مروعًا ولابد أن مأساة كتلك سوف تكّون جرحًا غائرًا في جسم الأندلس المسلمة يصعب التخلص منه إلى وقت طويل ناهيك عن آثارها المحدثة مباشرة.

يمكن تلمس بداية موضوع بحثنا هذا تحديدًا في السنة الخامسة والتسعين من الهجرة وإلى شهر ذي الحجة منها. في هذه السنة كان المسلمون الفاتحون للأندلس قد انتهوا لتوهم من فتح معظم الجزيرة الإيبيرية إلا من بعض أجزاء قليلة منها في أقصى الشمال الغربي. وكان هذا يعني بالنسبة لهم انتهاء المرحلة العسكرية وإيذانًا ببدء مرحلة الاستقرار وما يتطلبه ذلك من توظيف جميع السبل الإدارية الممكنة لتنظيم ذلك. والمرحلة الانتقالية هذه وبمثل تلك الحساسية كان يتطلب وجود تنظيم على قدر كبير من الكفاءة والقدرة، ويكون على رأسها قيادات تملك ليس فقط الإمكانات العملية ولكن أيضًا الهيبة والاعتبارات المعنوية وكانت الأنظار كلها موجهة إلى موسى بن نصير باعتباره القائد الأعلى للفتح علاوة على كونه

---

(٩) ابن عذاري (نقلاً عن الرازي)، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، المكتبة الأندلسية ـ ٢٢ (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، جـ٢، ص٢٤٠.

والي المغرب، وكان ينظر إلى الأندلس على أنه جزء منها.[١٠] وكان موسى فعلاً ذلك القائد الذي كان بإمكانه تحقيق تلك النقلة للأندلس لولا أن حدثًا مضادًا ظهر فجأة تمثل في إصرار الخليفة الوليد بن عبدالملك في طلبه خروج موسى بن نصير وطارق بن زياد من الأندلس والأفول إلى المشرق، وقد حاول موسى إبطاء تنفيذ الأمر قليلاً لإدراكه لأهمية بقائه في الأندلس لولا أن إلحاح الخليفة كان لا يلمس التراجع فيه، الأمر الذي أجبر موسى على الخروج من الأندلس مأخوذًا بعنان فرسه، كما قيل.[١١]

لقد قيل الكثير عن موقف الخليفة هذا وأعطيت أسباب كثيرة في إصراره على إلحاق موسى وطارق إلى دمشق.[١٢] لكن ما قيل وما أعطي كأسباب يبقى خارج اهتمام بحثنا هذا

---

(١٠) لم يحدث الأمويون تنظيمًا خاصًا لترتيب أمور حكم الأندلس، ولكن يفهم من سياق الأحداث التي توالت بعد الفتح أن الأندلس عُوملت ليس على أساس أنها منطقة مستقلة ولكن على اعتبار أنها جزء ممتد من المغرب تتبع في تنظيماتها الإدارية ولاية المغرب وعاصمتها القيروان على أن تحكم بصورة غير مباشرة من قبل الخلافة في دمشق. وقد نتج عن ذلك ازدواجية وتداخل في الكيفية التي كان يعين بها ولاة الأندلس، فهم تارة يعينون من قبل والي القيروان وتارة أخرى من قبل الخليفة في دمشق.

(١١) المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، تحقيق إبراهيم الإبياري (القاهرة: دار الكتب المصري، ١٩٨١م)، ص١٧.

(١٢) مما أعطي كأسباب لأمر الخليفة الوليد بن عبدالملك لموسى وطارق بالعودة إلى عاصمة الخلافة دمشق، أن الخليفة الوليد تخوف من نشوب مواجهة بين موسى وطارق، وذلك بسبب الأخبار التي وصلت إليه من أن سوء العلاقة بين القائدين قد وصل إلى ذلك الحد. وقد خشي الوليد أن يتحول ذلك إلى صراع إسلامي داخلي بين المسلمين الفاتحين، موسى ومن خلفه العرب وطارق ومن خلفه البربر. انظر: المقري، *النفح*، جـ٣، ص١٢؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ص٣٧٢. وقيل أيضًا إن السبب يعود إلى تمادي موسى في الفتح وإظهار النية على اختراق أوروبا والوصول إلى دار الخلافة عن طريق القسطنطينية مما أثار قلق الوليد على سلامة المسلمين في ديار الحرب «ورأى أن ما همَّ به موسى غرر بالمسلمين فبعث إليه بالتوبيخ والانصراف.» انظر: ابن خلدون، *تاريخ*، تحقيق سهيل ذكار، م٤ (بيروت: دار الفكر، د.ت.). ويشار بهذا الصدد إلى أن حنش الصنعاني، وهو أحد التابعين الذين دخلوا الأندلس نصح موسى بعدم التمادي في الفتوحات، لأن ذلك مهلكة وإنهاك للجند. وكان يرى الدعوة

الـذي يهمه بالدرجة الأولى النتائج التي ترتبت على هذا الخروج، ولعل الأثر الأكبر لهذا الخـروج تمثل في خلق حالة من الفراغ السياسي الذي بقي شاغرًا لأنه لم يملأ بشخص يمتلك القـدرات التي كان يمتلكهـا موسى. إن الفتـح السريع والذي نتج عنه اندفاع للاستقرار السريع كان يتطلب قيام حكومة مركزية على رأسها صاحب قدرة مثل موسى لتنظيم الأمور. ولكن رحيل موسى فوت على الأندلس إحداث مثل هذا التنظيم، الأمر الذي أدى إلى الكثير من المشكلات والارتباك والفوضى.

لم يكن أمام موسى في اضطراره إلى مغادرة الأندلس بهذه العجالة إلا أن يحاول أن يشكل فيها وبسرعة حكومة يلقي عليها مسؤولية تولي الأمور من بعده، خاصة وأن الخلافة لم تعين أحدًا من لدنها للقيام بهذا الأمر المهم بدلاً منه. وعليه فقد وقع اختياره على تعيين ابنه عبدالعزيز كوال على الأندلس، على أن يساعده في مهمته نفر من كبار الجند الفاتحين البارزين مثل حبيب بن أبي عبيدة الفهري،(١٣) وزياد بن النابغة التميمي.(١٤) كما اختار موسى أشبيلية، إحدى مدن الأندلس الجنوبية، لتكون مقرًا للحكومة وعاصمة للأندلس الكبرى.

وفي الحقيقة إن التدابير السريعة التي اتخذها موسى قبل مغادرته الأندلس كان يهدف منها أن تكون أصلح الإجراءات تجاه الأوضاع التي كانت الأندلس تعيشها حينذاك. كما أن اختياره لعبدالعزيز لم يكن اختيارًا أبويًا عاطفيًا، ولم يكن موسى يهدف من هذا التعيين أن تبدأ في الأندلس ولاية وراثية. إن معرفة موسى بقدرات وكفاءة عبدالعزيز لاشك أنهما كانا العاملين الرئيسين وراء التفكير بهذا الترشيح. يضاف إلى ذلك أن الواقع كان يملي على

= للإبطاء في الفتح، والنظر بدّلا عنه إلى شؤون الأندلس، ابن الكرويوس، *تاريخ الأندلس*، تحقيق أحمد مختار العبادي، م١٣، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م)، ص ص ٤٨ ـ ٤٩.

(١٣) انـظر ترجمـة حبيب بن أبي عبيدة الفهري في الضبّي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، *بغية الملتمس*، المكتبة الأندلسية ـ ٦، تراثنا (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م)، رقم ٦٧٥، ص٢٧٤.

(١٤) الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي، *جذوة المقتبس*، المكتبة الأندلسية ـ ٣، تراثنا (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م)، رقم ٣٩٣، ص١٩٩.

موسى أن يقدم عبدالعزيز على غيره . فهو كما عرفنا أحد القادة الثلاثة الذين تم على أيدهم فتح الأندلس، وعليه فإذا كان على موسى وطارق، وهما الاثنان الأوائل، مغادرة الأندلس فلابد أن يعوض عنهما هناك القائد العسكري الثالث . كما ينبغي أن نشير إلى أن موسى لم يترك عبدالعزيز مطلق اليدين في الأندلس ولكن عين معه هيئة حاكمة تتكون من كبار قادة الجند الفاتحة لمعاونته في إدارة شؤون الحكم . فالحكومة المؤلفة بهذه الصفة لم تكن إلا هيئة حاكمة تتوزع عليها المسؤوليات والأعباء .

ولقد قام عبدالعزيز، كأول وال على الأندلس، بمسؤوليته التي أوكل بها، ولقد سبق أن أشرنا إلى أن عبدالعزيز قد تمكن من إحراز النجاح فيما كان مطلوبا منه، بناء على ما ذكره المؤرخون بهذا الصدد . وقد استمر في ذلك زهاء السنتين . ولكن، تحديدا في السنة السابعة والتسعين من الهجرة وفي شهر رجب منه قتل عبدالعزيز بن موسى في مسجده، وهو يصلي الفجر على يد أعوانه من الجند، لأشياء نقموها عليه كما أخبرنا ابن عذارى نقلاً عن الرازي .(١٥)

إذا ما أردنا أن نتجاوز العبارة المبهمة التي ذكرها الرازي إلى السؤال، لماذا قتل عبدالعزيز؟ فإننا نجد أن المصادر التاريخية مليئة بذكر عدة أسباب، وهذه الأسباب كما وردت في المصادر يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام فرعية أو إلى قسمين رئيسين . ولكن قبل مناقشة هذه الأسباب يستحسن أن نقدم الأسباب الثلاثة كما وردت في المصادر التاريخية .

السبب الأول : وقد فضلنا إيراده من المؤلف المجهول صاحب الأخبار المجموعة لأن روايته هي الأوفى والأوسع بين المؤرخين الأندلسيين، وقد نقلها المؤرخون التالون له بتوسع منه .

ثم إن عبدالعزيز تزوج إمراة لذريق،(١٦) يقال لها أم عاصم فهم بها . . . فقالت له إن الملوك إذا لم يتتوجوا فلا ملك لهم، فهل لك أن أعمل لك ما بقي عندي من الجواهر والذهب

---

(١٥) انظر تعليقة رقم ٩ .

(١٦) آخر ملوك القوط وهو الذي واجه الجيش الإسلامي الفاتح بقيادة طارق بن زياد في معركة شذونة سنة ٩٢هـ (وتعرف المعركة بأسماء عديدة أخرى: معركة وادي لكة، سهل البرباط، شريش، والبحيرة) . وتذكر المصادر أن لذريق قتل في هذه المعركة بينما تذكر مصادر أخرى أنه قتل فيما بعد في معركة أخرى بالقرب من ماردة، ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، ص١٣ .

تاجًا؟ فقال: ليس هذا في ديننا. فقالت له: من أين يعرف أهل دينك ما أنت عليه في خلوتك؟ فلم تزل به حتى فعل، فبينما هو يومًا جالس معها والتاج عليه، إذ دخلت امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التميمي، من بنات ملوكهم، فرأته والتاج على رأسه، فقالت لزياد: ألا أعمل لك تاجا؟ قال ليس في ديننا استحلال لباسه، فقالت فودين المسيح إنه لعلى إمامك، فأعلم بذلك زياد حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، ثم تحدثا به حتى علمه خيار الجند، فلم تكن له همة إلا كشف ذلك حتى رآه عيانا ورآه أهله صدقا. فقالوا: تنصر، ثم هجموا عليه فقتلوه في عقب سنة ثمان وتسعين (الأصح سبع وتسعين) والخليفة بعد سليمان بن عبدالملك.(١٧)

هذه الرواية المفصلة لو قابلناها برواية أخرى لابن القوطية، وهو معاصر للمؤلف المجهول (ابن القوطية توفي في ٣٦٧هـ بينما يعتقد أن المؤلف المجهول توفي في حدود سنة ٣٥٠هـ) فإننا لا نجد اختلافا كبيرا في سياق الرواية وإن كانت رواية ابن القوطية تبدو وكأنها مكملة لرواية المؤلف المجهول. فإذا كان المؤلف المجهول قد تحدث عن السبب الذي من أجله قُتل عبدالعزيز فإن ابن القوطية يروي كيفية القتل:

فلما أصبح (فراغ حسب هامش المحقق) خرج المسجد (يقصد به عبدالعزيز) وصار في المحراب، وقرأ بفاتحة الكتاب، وسورة الواقعة، فرفع القوم سيوفهم عليه بمرة وأخذوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان. وكان ذلك بمسجد ربينة المشرف على مرج أشبيلية، إذ كان ساكنا في كنيسة ربينة، وإذا كان نكح امرأة من القوط تسمى أم عاصم كان يسكن معها في هذه الكنيسة، وكان قد ابتنى على بابها المسجد الذي قتل فيه، وكان دمه فيه على عهد قريب.(١٨)

السبب الثاني: هاتان الروايتان على الرغم من أقدميتهما بالنسبة للمؤرخين الأندلسيين، فإنهما ليستا الأقدم إطلاقًا من حيث الظهور الزمني، كما أنهما ليستا الأدق تفصيلا. المؤرخ المشرقي ابن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ) هو أسبق منهما زمنيا لرواية حادثة مقتل عبدالعزيز، كما أن روايته من حيث الدقة الوصفية هي الأكمل صورة حتى بالمقارنة لروايات المؤرخين اللاحقين. وهذا لعله يقوي الظن بأن ابن عبدالحكم هو فعلا أول

---

(١٧) المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص ٢٨.

(١٨) ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، تحقيق إبراهيم الإبياري (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٢م)، ص٢٧.

المؤرخين الرَّاوين لرواية مقتل عبدالعزيز، حيث إنه من المعتقد أنه أخذ التفاصيل إن لم يكن من شهود عيان وصلوا المشرق من الأندلس، ولكن من أقرب الناس عهودا بالحادثة نفسها. ولذا فإنه أصبح المصدر الذي استقى منه المؤرخون خبر الحادثة ليس في المشرق فحسب، بل إن الافتراض يدعو أن روايته أخذت طريقها إلى الأندلس حيث أخذ المؤرخون الأندلسيون تفصيلات الحادثة منه. ولذلك ومن أجل تكميل الصورة يتوجب علينا هنا أن نورد رواية ابن عبدالحكم التي يرويها قائلاً:

إن عبدالعزيز بن موسى بن نصير بعد خروج أبيه قد تزوج امرأة نصرانية بنت ملك من أهل الأندلس يقال إنها ابنة لذريق ملك الأندلس الذي قتله طارق فجاءته من الدنيا بشيء كثير لا يوصف، فلما دخلت عليه قالت مالي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك ويسجدون لك، كما كان مملكة أبي يعظمونه ويسجدون له. فلم يدر ما يقول لها فأمر بباب فنقب له في قصره وجعله قصيرًا، وكان يأذن للناس فيدخل الداخل إليه من الباب حين يدخل منكسا رأسه لقصر الباب، وهي في موضع تنظر إلى الناس فلما رأت ذلك قالت لعبدالعزيز الآن قوي ملكك. وبلغ الناس أنه إنما نقب الباب لهذا، وزعم بعض الناس أنها نصرته فثار به حبيب بن أبي عبيدة الفهري، وزياد بن النابغة التميمي، وأصحاب لهم من قبائل العرب، واجتمعوا على قتل عبدالعزيز الذي بلغهم من أمره وأتوا إلى مؤذنه فقالوا أذن بليل لكي نخرج إلى الصلاة فأذن المؤذن ثم ردد التثويب، فخرج عبدالعزيز فقال لمؤذنه لقد عجلت وأذنت بليل. ثم توجه إلى المسجد وقد اجتمع له أولئك النفر وغيرهم ممن حضر الصلاة فتقدم عبدالعزيز فافتتح القراءة «إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة»، فوضع حبيب السيف على رأس عبدالعزيز فانصرف هاربًا حتى دخل داره فدخل جنانًا له واختبأ فيه تحت شجرة وهرب حبيب بن أبي عبيدة وأصحابه، وأتبعه زياد بن النابغة فدخل على أثره فوجده تحت الشجرة، فقال له عبدالعزيز ياابن النابغة نجني ولك ما سألت فقال «لا تذوق الحياة بعدها» فأجهز عليه واحتز رأسه وبلغ ذلك حبيبا وأصحابه فرجعوا ثم خرجوا برأس عبدالعزيز إلى سليمان بن عبدالملك.»[١٩]

السبب الثالث: العبارات الأخيرة التي اختتم بها ابن عبدالحكم روايته تذكرنا بطريقة غير مباشرة أن الأسباب التي أعطيت لنا من قبل المؤرخين عن مقتل عبدالعزيز هي ليست

---

(١٩) ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله، *فتوح إفريقية والأندلس*، تحقيق عبدالله أنيس الطباع (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤م)، ص ص ٨٤ - ٨٦.

كل ما ذكر بهذا الشأن وأن هنا تواصلاً في هذا الأمر. إذا كان كل من المؤلف المجهول ومعاصره ابن القوطية وكذلك المؤرخ المشرقي ابن عبدالحكم، فيما أثبتوا من مروياتهم قد قدموا لنا أسبابًا يمكن اعتبارها أندلسية الحدود والنطاق فأن مواصلة المؤرخين في ذكر مزيد من الأسباب بدأت تحول القضية من قضية أندلسية إلى قضية لها علاقة أيضا بالمشرق وبمركز الخلافة في دمشق وبالخليفة سليمان بن عبدالملك نفسه. لقد كان ابن القوطية أكثر من صريح، كأول مؤرخ أندلسي يفعل ذلك، في توجيه تهمة أسباب مقتل عبدالعزيز بن موسى مباشرة إلى الخليفة سليمان بن عبدالملك:

فلما صار الأمر إلى سليمان حبس ابن نصير وأغرمه، وعهد إلى خمسة نفر من وجوه العرب بالأندلس بقتل عبدالعزيز، منهم حبيب بن أبي عبيدة الفهري، وزياد بن النابغة التميمي فقصدوا إليه... فلما أصبح خرج إلى المسجد، وصار في المحراب وقرأ بفاتحة الكتاب وسورة الواقعة، فرفع القوم سيوفهم عليه بمرة وأخذوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان.[٢٠]

وقد ذكر ابن عذاري بإيضاحات لعل من المستحسن إيرادها لتكتمل الصورة هنا أيضا:

وذُكر أيضا أن سليمان بعث إلى الجند يأمرهم بقتله ـ عبدالعزيز ـ عند سخطه على أبيه وأنهم، لما قتلوه حزّوا رأسه، وقدم به على سليمان حبيب بن أبي عبدة (عبيدة في أغلب الروايات) الفهري. فقيل إنه ـ أي سليمان ـ عرض الرأس على والده (موسى بن نصير) وهو في مجلسه فتجلد لحر المصيبة، وقال «هنيئًا له الشهادة، قتلتم والله صوَّامًا قوَّامًا.»

ويكمل ابن عذارى ناقلاً من الرازي: «فكانوا يعدون مقتل سليمان هذا بموسى وابنه من كبار زلاته التي لم تزل تنقم عليه.»[٢١]

وبإدخال سليمان بن عبدالملك ضلعًا في حادثة قتل عبدالعزيز بن موسى أصبح للقضية أضلاع ثلاثة. الأول هي زوج عبدالعزيز والثاني الخليفة سليمان بن عبدالملك والثالث المجموعة التي نفذت الحادثة. الأضلاع الثلاثة هذه تحتاج كل واحد منها توقفا خاصا بها، وذلك لتحديد دوافع المشاركة لكل ضلع وتعيين مبرراته ومعرفة أسبابه. وهذا سوف يكون هدفنا في الصفحات التالية. ولكن قبل التحول إلى ذلك ينبغي علينا أن نختم استعراض الروايات بذكر سبب إلحاقي تورده المصادر عن سبب القتل: «وقيل أيضا، إنما

---

(٢٠) ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، ص ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢١) ابن عذاري، *البيان المغرب*، جـ٢، ص ص ٣٤ ـ ٣٥.

قتلوه لأنه خلع طاعة سليمان بن عبدالملك، إذ بلغه قتل أخيه (يقصد به عبدالله الذي كان واليًا على المغرب) وما صنع بأبيه . »[٢٢]

دراسة تاريخية للروايات

بعد إيراد الروايات المختلفة التي تتحدث عن مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير وأسبابه، والتي حرصنا على الاستشهاد بأمثلة منتقاة منها توافرت فيها شروط الأسبقية الزمنية والتفصيلات الأدق عن غيرها من المدونات الأخرى الأندلسية منها أو المشرقية، نكون قد أوردنا نماذج لما هو متداول مثلها في المصادر التاريخية الأخرى. هذه الروايات المتداولة في سجلات المؤرخين، في الحقيقة لا تختلف من حيث الجوهر والبنية الأساسية عن الأمثلة التي أوردناها والتي لربما كانت نقولات متوالية منها إلا في بعض الاختلافات الطفيفة التي لا تغير من فحواها وسياقها. فمثلاً زوج عبدالعزيز، وهي المرأة التي توجه الروايات التهم إليها على أنها المسببة الأولى لمقتل عبدالعزيز، هي تارة زوج لذريق آخر ملوك القوط الذي قتل على يد المسلمين وتارة ابنته وتارة أخرى هي فقط إحدى نبيلات القوط.[٢٣] السورة التي قيل إن عبدالعزيز استهل بها قراءته وهو يصلي الفجر في مسجد ربينة هي سورة الواقعة، مثلما هي في رواية ابن قتيبة وابن عذاري،[٢٤] ولكن هي في رواية ابن الفرضي سورة الحاقة.[٢٥] وكذلك العبارة التي قيل إن حبيب بن عبيدة الفهري قد قالها وهو يرفع السيف لكي يقتل

---

(٢٢) ابن عذاري، *البيان المغرب*، جـ٢، ص ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢٣) ليفي بروفنسال Levi-Provencal يذكر، بدون أن يوضح مصدره، أن اخليونا Egilona، ويسميها العرب آيله، زوج عبدالعزيز، قد أسلمت بعد الزواج وحسن إسلامها وسميت أم عاصم عكس زوج زياد بن النابغة التميمي التي بقيت على النصرانية (قولها في الرواية «فودين المسيح» كما ورد في المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص٢٨)؛ انظر مادة عبدالعزيز في دائرة المعارف الإسلامية *En-cyclopedia of Islam*, Vol. I, p. 58.

(٢٤) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص٨٠؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ص٣٧.

(٢٥) ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس* (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م)، رقم ٨٢٣، ص٢٧٦. وينبغي أن نشير هنا إلى أن ابن الفرضي ينقل هذا الخبر نقلاً عن الرازي ويورد سورة الحاقة، بينما ابن عذاري الذي نقل أيضًا عن الرازي يورد الخبر بأن عبدالعزيز قد قرأ سورة الواقعة.

عبدالعزيز بعد أن بدأ بقراءة الواقعة هي مرة «وقعت عليك يابن الفاعلة» ومرات أخرى «يا نصراني» أو «يا يهودي»! أو حتى في حالة أنه قرأ الحاقة، هي في بعض الروايات «حقت عليك يا ابن. . . » ثم تختلف النعوت بالأوصاف التي ذكرناها.(٢٦)

الملاحظة الأخرى التي نلاحظها في الروايات التي أوردناها هنا هي أن هناك تباينا واضحا بين رواية وأخرى بحيث إن الأمر يبدو وكأن مؤرخًا يروي جانبا من السبب ثم يأتي مؤرخ آخر ويورد سببًا آخر لم يورده المؤرخ السابق. وبالنظر إلى أكثر من رواية توضح ليس فقط الأسباب كلها ولكن أيضًا التفصيلات المكملة لبعضها البعض، والتي في النهاية تعطي الصورة الكاملة، فمثلاً المؤلف المجهول، الذي بدأنا الاستشهاد به يورد فقط سبب إغواء زوج عبدالعزيز زوجها بلبس التاج الذي أرادت منه تشبيهه بملوك القوط. بينما يأتي ابن القوطية بعد ذلك، وهو معاصر للمؤلف، ويورد جوانب أخرى ومعلومات إضافية لم يوردها المؤلف المجهول. وإذا ما انتقلنا إلى ابن عبدالحكم فإننا نجد أن ما يرويه ليس فقط أكثر تفصيلاً مما يرويه كل من المؤلف المجهول وابن القوطية، ولكن نجد أيضًا أن ابن عبدالحكم يتجاهل سبب التاج الذي يورده الاثنان، ويتحدث عن سبب جديد وهو تصغير عبدالعزيز باب الدخول إليه كما أصرت زوجه عليه أن يفعل.

الملاحظات السابقة والتي لاحظناها في الروايات التي تتهم زوج عبدالعزيز أم عاصم تتكرر مرة أخرى حين الحديث عن دور الخليفة سليمان بن عبدالملك كسبب في مقتل عبدالعزيز. ابن القوطية الذي بدأنا الاستشهاد به في هذا السبب الإضافي، يوجه التهمة رأسا إلى الخليفة سليمان، ويؤكد أنه هو الذي أرسل إلى خمسة نفر من وجوه العرب بالأندلس لقتل عبدالعزيز ثم يأتي ابن عذاري، مثلما فعل ابن القوطية لرواية المؤلف المجهول، ويورد تفصيلات جديدة لم يذكرها السابق، ويضيف رواية أخرى من الرازي بأن سليمان قد تضرر نفسيًا فيما بعد بما ألحقه بموسى بن نصير وببنيه. ويأتي بعد ذلك ابن عذاري ناقلاً عن الواقدي ويذكر أن سبب مقتل عبدالعزيز على يد سليمان يعود إلى أن عبدالعزيز كان قد استقل بالأندلس وخلع طاعة سليمان.

وهكذا، تتوالى الاختلافات والتباينات بين راوٍ وآخر، سواء في تحديد السبب أو في إيراد التفصيلات. إن معرفة سبب ذلك هو أمر مهم بدون جدال. فنحن لا ندري إذا كان

(٢٦) ابن الفرضي، *تاريخ*، رقم ٨٢٣، ص٢٧٦.

السبب يعود بالدرجة الأولى إلى أن كل مؤلف قد روى ما كان متوافرًا لديه من معلومات. أو أن السبب يعود إلى أن المؤرخ لم يرو إلا السبب الذي كان هو مقتنعًا به أو يراه مقبولاً ثم بعد ذلك يتجاهل الأسباب الأخرى. أو أن هذا يعبر عن موقف خاص وشخصي كان يتبعه المؤرخ من الروايات كافة، سواء بالقبول أو الرفض، ولا ينتقي بناء عليه إلا السبب الذي يراه مقبولاً ويورده في مؤلفه للسبب نفسه، أيضًا يهمل الأسباب الأخرى التي لا يقتنع بها. إن تحديد السبب أو الأسباب لهذه المواقف التي يقفها المؤرخون، بحيث تجعل الواحد منهم يختلف عن الآخر في روايته للحدث نفسه الذي يرويه الآخر، هو أمر صعب ولا يمكن القطع فيه بصورة أكيدة، ولكن مع ذلك، تبقى مسألة الإشارة لها مهمة.

لقد جرت العادة بين المؤرخين حينما يُواجَهُون بقضية يتطلب إثباتها أو نفيها، مثلما نواجه نحن قضية مقتل عبدالعزيز، أن يتابعوا تاريخ تدوين الروايات زمنيًا، فمتى كان تدوين الحادثة في فترة أقرب إلى زمن حدوث الواقعة وكان الاعتقاد بصدق الرواية راسخًا. ولكن متى ما تباعدت الفترة الزمنية كان العكس صحيحا. يضاف إلى ذلك أيضا تتبع مكان الوجود الجغرافي للراوي، فإذا كان راوي الرواية أقرب من الناحية الجغرافية لمكان حدوث الحادثة كلما كان أقرب لفهم ملابساته وظروف حدوثه. وعن طريق متابعة سلم الرواة زمنيًا وتحديد أماكن الرواية جغرافيا أمكن الوصول إلى الكثير من الآراء الحاسمة في القضايا التي عليها اختلاف.[٢٧] نحن إذا ما طبقنا هذا المنهج في الروايات التي خاضت في الحديث عن أسباب مقتل عبدالعزيز يتضح لنا ما يلي.

يغلب على الظن أن الروايات التي تناولت أسباب مقتل عبدالعزيز بالتفصيلات التي أثبتناها كانت شائعة التداول بعد حادثة القتل تمامًا. والذي يرجح هذا الظن أن المؤرخين أكدوا على تداولها بين الناس في الأندلس في تلك الفترة المشار إليها. يقول ابن قتيبة: «إن أهل الأندلس عندما أصبحوا لم يقبلوا بالأسباب التي ذكرها القتلة.»[٢٨] ويضيف ابن عذاري قائلا: «وأكثر الناس على أن هذه الحكاية (حكاية مقتل عبدالعزيز) لا تصح وإنما

---

(٢٧) انظر الدراسة التي قام بها عبدالحليم عويس، والتي سبقت الإشارة إليها في التعليقة رقم ٥، الفقرة ٢ متتبعًا هذا المنهج في قضية إحراق طارق بن زياد السفن التي نقلت الجيش الإسلامي الفاتح إلى البر الأندلسي.

(٢٨) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ١٨٣.

قتلوه بأمر سليمان لهم بذلك.»[٢٩] إن الاعتقاد برواج الروايات بعد مقتل عبدالعزيز مباشرة هو أمر لا يتعارض مع النظرة المنطقية. فالمتوقع أن الذين قاموا بقتل عبدالعزيز لابد عليهم أن يروِّجوا الأسباب لإعطاء تبرير، سواء أكان صادقا أم كاذبا، لما قاموا به من عمل. وتأكيد المؤرخين بأن الناس لم يصدقوها يؤكد أنه كان هناك سرعة من قبل القاتلين في ترويجها بين الناس بعد الانتهاء من القتل مباشرة، وقول ابن قتيبة: «إن أهل الأندلس حينما أصبحوا» يتماشى مع هذا التفسير. فالقتل كان فجرًا والترويج للمبررات كان بعده وإلى أن أصبح الناس. ومن الملاحظ أن جميع المبررات يبدو أنها روجت في آن واحد، سواء بشقها الأندلسي مثل قضية لبس التاج وتصغير باب الدخول، أو بشقها المشرقي مثل ضلوع سليمانِ بن عبدالملك في القتل، ولم تكن هناك فترات تباعد بين إعطاء سبب وآخر. ولعل ذلك يدفعنا إلى الاعتقاد بأن قتلة عبدالعزيز كانوا قد جهزوا ما ظنوا أنه مبرر لفعلهم، سواء أكان مستندا على وقائع وأسباب معروفة، مثل سوء العلاقة التي كانت بين موسى وسليمان، أو ما كان غير قائم على حقيقة ملموسة مثل قضية التاج والباب.

إن تأكيدنا بأن روايات أسباب مقتل عبدالعزيز كانت سريعة الرواج والتداول بين الأندلسيين لا يتفق على أية حال مع ظهور هذه الأسباب في المصادر التاريخية الأندلسية زمنيًا. صحيح أنه كان هناك بعد زمني بين حدوث حادثة القتل وبين ظهور الكتابات التاريخية الأندلسية التي تتحدث عنها، ولكن بناء على التأكيد السابق كان المتوقع أن روايات القتل تبقى حية ورائجة إلى حين ظهور مؤرخ يسجل أحداثها. ولكن هذا لم يحدث، فأوائل المؤرخين الأندلسيين، عبدالملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ) وأحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت ٣٤٤هـ)، لم يظهرا روايات مقتل عبدالعزيز في مؤلفاتهما بالتفصيلات نفسها التي ظهرت بها في المصادر التاريخية المتأخرة نسبيا. فعبدالملك بن حبيب، على الرغم من توسعه في ذكر تفصيلات جانبية لأحداث الفتح الإسلامي واهتمامه بتسجيل الكثير مما يعتبره المؤرخون أساطير عالقة بأحداث الفتح، إلا أنه عند الحديث عن مقتل عبدالعزيز لا يشير من قريب أو بعيد إلى الأسباب المعروفة. ولا يمكن عزو السبب إلى أن ما نشر من

(٢٩) ابن عذاري، *البيان المغرب*. هذا السطر محذوف في طبعة مكتبة صادر، لبنان، ولكنه موجود في طبعة ج. س. كولان وليفي بروفنسال، سلسلة المكتبة الأندلسية ـ ٢٢ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٠م)، جـ١، ص٢٤.

كتاب ابن حبيب ليس كاملاً ولا يمثل إلا قطعة من كتابه الموسوم بـ *تاريخ استفتاح الأندلس* لأن ابن حبيب في القطعة المنشورة قد تجاوز الحديث عن عبدالعزيز بن موسى وأخبار قتله إلى أحداث تالية لذلك الحدث.[٣٠] الرازيان، أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت ٣٤٤هـ) ثم عيسى (ت ٣٧٩هـ) (شاركا في التأليف تتابعًا)، وعلى الرغم من ضياع جل ما كتباه، إلا أنه ومن خلال النقولات عنهما يبدو أنهما أيضا لم يتطرقا إلى أسباب مقتل عبدالعزيز إلا تلميحًا. ابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ) الذي يذكر أنه نقل خبر وفاة عبدالعزيز بن موسى من الرازي لا يشير إلا لتلك العبارة المبهمة: «وقد قتل لأشياء نقمها الجند عليه.» ولا يشار إطلاقًا في نقولات أخرى عنهما إلا هذه العبارة.[٣١] وزاد على ذلك أن الرازي قدم رأيه الشخصي في عبدالعزيز مادحًا إياه بأنه «كان من خير الولاة.»[٣٢] وكنا بهذا الصدد نرغب في معرفة ما كتبه عميد مؤرخي الأندلس ابن حيان القرطبي لما عرف منه من دقة ومنهجية (ت ٤٢٢هـ) لولا أن هذا الجزء من كتاب الموسوم بـ *المقتبس* قد ضاع ولا يعرف نقولات منه في موضوع عبدالعزيز في المصادر الأخرى.[٣٣]

في الحقيقة نحن لا نعرف أسباب المواقف التي وقفها كل من عبدالملك بن حبيب والرازيان حيال عدم ذكر أسباب مقتل عبدالعزيز في مدوناتهما التاريخية، ولا نعتقد أنهما كانا يجهلان الأسباب التي أكدنا على ذيوعها في الأندلس في أيامهما. وإذا ما بقينا على هذا التأكيد لأمكننا بالتالي التساؤل هل كان هؤلاء يعبرون بتجاهلهم تلك الأسباب عن موقف خاص بهم؟ هل كان هذا رفضا منهم لتلك الأسباب أو حتى عدم التصديق والتقبل لها؟

إن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات صعبة في ضوء عدم معرفتنا بالأسباب المؤكدة

---

(٣٠) عبدالملك بن حبيب، *تاريخ استفتاح الأندلس*، ص ص ٢٢١، ٢٣٨، ينبغي أن نشير هنا إلى أن الكتاب قد نشر بكامله. انظر: *كتاب التاريخ* لعبدالملك بن حبيب، تحقيق جورج أجوادي، المصادر الأندلسية ـ ١، (مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٢م).

(٣١) ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، رقم ٨٣٣، ص ٢٧٦.

(٣٢) المقري، أحمد بن محمد التلمساني، *نفح الطيب*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م)، جـ١، ص١٨١؛ ابن عذاري، *البيان*، جـ٢، ص٣٤.

(٣٣) لقد تأكد مؤخرًا أن هذا الجزء موجود ونرجو أن يرى النور قريبا لتتحقق به الفائدة.

التي جعلت هؤلاء المؤرخين يأخذون مثل هذه المواقف. ولكن في الوقت نفسه لا ضرر من القول إن مجرد إثارة مثل هذه التساؤلات لربما تضعنا في بداية طريق نرجو أن نصل إلى حقائقه فيما بعد.

فيما يتعلق بالظهور الزمني لروايات عبدالعزيز تبقى هناك ملاحظة أخيرة، وهذه الملاحظة هي أن الظهور الأول لتلك الروايات في الأندلس كان على يد كل من المؤلف المجهول وابن القوطية. وهذان الاثنان بالقياس لتاريخ وفاتيهما، المؤلف المجهول في حدود السنة ٣٥٠هـ وابن القوطية في السنة ٣٦٧هـ، قد عاشا في زمن بعيد عن زمن حادثة مقتل عبدالعزيز (صدر رجب سنة ٩٧هـ) بما يزيد على القرنين ونصف القرن. وهذا بدون جدال زمن طويل لروايات القتل وأسبابه لكي يدون في السجلات التاريخية الأندلسية. فالبعد الزمني كفيل بأن يعرض وقائع الحادثة إلى التغيير، سواء في الزيادة أو النقصان، عند التسجيل خاصة في غياب المدونات المكتوبة والاعتماد فقط على ما كان متداولا شفهيا. فنحن لا نعرف عن وجود مؤرخين في الأندلس في الفترات الواقعة ما بين الفترة التي عاش فيها كل من عبدالملك بن حبيب والرازيان والفترة التي عاش فيها المؤلف المجهول وابن القوطية، كما أننا لسنا متأكدين أن روايات القتل قد أخذت طريقها إلى المدونات التاريخية في خلال تلك الفترات.

السؤال هنا، لماذا كان ذلك الانتظار الطويل لكي نعرف الأسباب التي من أجلها قتل عبدالعزيز بن موسى في الأندلس؟ ولماذا ظهرت روايات الأسباب فجأة في كتابات المؤلف المجهول وابن القوطية، ولم تظهر في كتابات ابن حبيب والرازيين اللذين هما أقرب من الاثنين للحادثة، وإن كان يفصل هؤلاء أيضا ما يزيد على القرن ونصف القرن عن تاريخ الحادثة نفسها. والسؤال هذا يولد سؤالا آخر وهو: لماذا ظهرت روايات القتل أول مرة في كتابات المؤرخ المشرقي ابن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ) وهو كما نعلم لا يفصله عن الأندلس البعد الجغرافي فقط ولكن يفصله أيضا البعد الزمني عن تاريخ حادثة القتل بحوالي قرن ونصف القرن. لماذا الأسبقية المشرقية لتسجيل حادثة حدثت في الأندلس؟ هل كانت روايات أسباب القتل متداولة هناك مثلما كانت في الأندلس؟ هل كان ابن عبدالحكم أكثر تلهفا من غيره لتلقي أخبار مقتل عبدالعزيز من رواتها الذين كانوا يحملونها من الأندلس إلى المشرق؟ ولماذا وردت بهذه الدقة والتفصيلات؟ وهل يعني أسبقية ابن عبدالحكم أن رواياته

عادت بعد ذلك إلى الأندلس ومن ثم أخذها الأندلسيون وأضافوا من عندهم ما كانوا يعرفون من زيادات عما قاله هو؟ وهل بعد ذلك يمكن القول إن روايات القتل هي مشرقية تدوينا وأندلسية شفاهة؟ ولكن بعد ذلك كله يبقى السؤال الأكثر إلحاحًا، وهو لماذا كُتب للروايات التي أوردها ابن عبدالحكم، ومن ثم من بعده المؤلف المجهول وابن القوطية الرواج والتداول بين أوساط المؤرخين الذين أتوا من بعدهم ولم يكتب للأفكار التي عرضها كل من عبدالملك بن حبيب والرازيين نفس الرواج والإقبال. هل لأن روايات ابن عبدالحكم والمؤلف المجهول تحوي المعلومات المثيرة أم لأنها تحوي عناصر قصصية شائعة على عكس روايات ابن حبيب والرازيان، التي بما تحوي من جدية تفتقد لمثل تلك العناصر؟ وأخيرا هل البعد الزمني الواقع ما بين وقوع حادثة القتل وبين ظهورها مسجلة في السجلات التاريخية وكذلك العامل الجغرافي في حالة ابن عبدالحكم، أثره في الإضرار بمحتوى الروايات، وهل تعرضت الروايات بسبب هذه العوامل للزيادة أو النقصان والتنميق أو التشذيب؟ الاحتمالات في كل الأحوال واردة.

دراسة تحليلية للروايات

في محاولتنا تحليل الروايات التاريخية التي ذُكرت كأسباب لمقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير، نحن للأسف لا نملك المعايير المحدودة التي نستند إليها ولا المعلومات التاريخية الكافية التي نبني عليها أحكامنا، وذلك لنحدد على ضوئها موقفنا من هذه الروايات، سواء من حيث القبول أو الرفض. فالروايات، على الرغم من احتمال تداولها بين أوساط الأندلسيين حال وقوع حادث القتل للاعتقاد أن قتلة عبدالعزيز كان عليهم إعلانها للملأ لتبرير فعلتهم، ولكن بقيت تلك الروايات، كما خلصنا في الفصل السابق، زمنًا طويلاً قبل أن تدون في المصادر التاريخية، ومنذ تدوينها في السجلات التاريخية بدأ المؤرخون يتعاقبون عليها واحدًا بعد الآخر إلى أن غدت تلك الأسباب كالقضية المسلّمة التي لا يوجد لها بديل آخر، وارتبطت تاريخيًا بمقتل عبدالعزيز وبهيمنة لم تدع لمؤرخين آخرين حتى فرصة اعتبار أسباب أخرى في هذه المسألة المهمة.

أمام هذه الحالة، ليس أمامنا سوى العودة إلى الروايات، كما انتهت إلينا بأشكالها العديدة وإعادة قراءتها قراءات متأنية محاولين بذلك الخروج بأفكار واستنباطات جديدة لعلها تمكننا من تحديد موقفنا منها، وليس لدينا ما يكفي من المستندات والبراهين سوى

بعض التلميحات المبثوثة هنا وهناك في المصادر التاريخية. وعليه فإن ارتكازنا الذي نعول عليه سوف يشمل أيضا عاملين مساعدين، أحدهما المنطق الجدلي، على الرغم من إدراكنا سلفًا بأن هذا العامل يكون ضعيفًا ولن يسلم من الانتقادات. وثانيهما، هو الوقائع التاريخية العامة لزمن وقوع حادثة القتل. ولدينا في هذه الحالة القدر الكافي من المعلومات المتعلقة بتلك الفترة، والتي نأمل أن تكون بالنسبة لنا الخلفية التي نستند عليها في تفسيرنا لأسباب القتل.

الروايات كما أوردناها سابقًا من مصادرها المختلفة، سوف نقسمها في سبيلنا إلى تحليلها إلى قسمين رئيسين، *القسم الأول*، وهو الذي يمكن إطلاق نسبه بالأندلسية باعتباره متعلقا بكامله بالأندلس. وهو القسم الذي يتحدث عن قضايا مثل لبس عبدالعزيز التاج الذي صنعته له زوجه أم عاصم، وكذلك قضية تصغير باب الدخول عليه ابتغاء لمرضاة زوجه. *القسم الثاني*، والذي يمكن نسبه بالمشرقية ـ الأندلسية لكونه يتعلق بمسألة ما قيل عن ضلوع الخليفة سليمان بن عبدالملك في مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير.

القسم الأول من الروايات، على حسب تقسيمنا السابق، إذا ما نظرنا إليها كوحدة كاملة حسبما تجمعت لدينا من مصادرها المختلفة يمكننا القول إنها تمثل وحدة قصصية متكاملة الجوانب ومستوفية لجميع الشروط اللازمة لبناء هيكل قصة روائية كاملة. فهناك أولاً البداية المهيئة لخلق الأرضية التي تبنى عليها بنية القصة وتتمثل في اضطرار موسى بن نصير إلى مغادرة الأندلس وتولي عبدالعزيز الولاية عليها بدلا منه. ثم يأتي بعد ذلك المحور الأساسي الذي يشكل القاعدة التي تبنى عليها الأحداث وتتمثل هنا في وقوع عبدالعزيز تحت تأثيرات زوجه وتحقيقه لجميع مطالبها غير المألوفة والمشروعة. ثم تأتي بعد ذلك النهاية وتتمثل هنا في وصول الخبر إلى قادة جند الأندلس واتفاق هؤلاء رأسًا على إيقاع العقاب بعبدالعزيز.

بالتصنيف السابق للروايات وتشبيهنا إياها بالقصة متكاملة البنية لا نقصد إلى القول إن هذه الروايات هي قصة وليست رواية تاريخية، فالرواية التاريخية باعتمادها على حدث متكامل الجوانب تمتلك هي الأخرى العناصر نفسها التي ذكرت سابقًا من بداية وحدث ونهاية، وهذا في المفهوم التاريخي يمكن وصفه على أساس حادثة ـ سبب ـ نتيجة. ولكن ما نود أن نقوله هنا إنه على الرغم من تشابه العناصر في الرواية التاريخية والقصة إلا أن الرواية

التاريخية عادة لا تتوافر فيها تلك العناصر التي نراها في روايات مقتل عبدالعزيز: فالرواية التاريخية عادة ما تبقى فيها جوانب غير كاملة، لا تكتمل إلا من خلال مزيد من البراهين والاستنباطات والمقارنات، على العكس في مثل روايات مقتل عبدالعزيز الكاملة، فالروايات هنا تُقدم بمضامينها الكاملة وأفكارها والتي لا تترك أية خافية قابلة للتساؤلات أو الاستدراكات.

ولتوضيح نقطتنا الأخيرة يدفعنا ذلك إلى التوجه إلى سطور الروايات نفسها. وهناك نجد أن الرواية الأولى تقدم لنا بشكل يعرّفه صناع الرواية القصصية بالأسلوب الحواري القائم على حوار بين أبطال الرواية، حيث نقرأ عن حوار خاص يدور بين عبدالعزيز وزوجه، أم عاصم، في خلوة زوجية ليس معهما ثالث بأسلوب (قالت له . . . وقال لها.) وعلى الرغم من أن الحوار قد دار في خلوة بين الاثنين إلا أنه سجل في الروايات تسجيلاً كاملاً وكأن هناك مسترق حريص قد اندس بينهما بقصد تسجيل ما كان دائرًا من حوار بجمله ومفرداته وشاهدًا على ما دار بينهما. ويتبع هذا المشهد مشهد آخر حسبما ينتقل الحوار من عبدالعزيز وزوجه إلى زياد بن النابغة التميمي وزوجه التي تحمل خلفيات أم عاصم زوج عبدالعزيز نفسها. فهي من بنات ملوك القوط مثلما هي أم عاصم التي كانت من نبيلات القوط وزوج آخر ملوكهم قبل أن يتزوجها عبدالعزيز. وفي النقلة الجديدة هناك استمرار لحوارٍ خاص يدور أيضًا بين رجل وزوجه ولكن باختلاف في الموقف. لا يقبل التميمي في هذا المشهد ما قبل به عبدالعزيز ولا يرضخ لإغواءات الزوج به. وهنا يبرز التمايز بين الرجلين، عبدالعزيز وزياد، حيث يظهر فيه عبدالعزيز بصورة الرجل الضعيف الذي لا يملك من أمره شيئا أمام إغراءات زوجه، بينما يظهر زياد، في الجانب الآخر، بمظهر الرجل ليس فقط القوي أمام إرادة زوجه ولكن أيضا المتمسك بدينه. لقد قال عبدالعزيز لزوجه عندما طلبت منه لبس التاج «ليس في ديننا استحلال لبسه» ومع ذلك وضع التاج على رأسه غير عابىء بالمانع الديني، وزياد في الجانب الآخر كرر العبارة نفسها ولكنه في الوقت نفسه رفض لبس التاج. الفرق إذن واضح بين القوي المتمسك بأوامر دينه وبين الضعيف غير المكترث لذلك، كما أن التباين كبير بين بريء ومذنب وبين الملتزم لجانب الخير وبين المنساق إلى جانب الشر.

فما قيل عن وضع عبدالعزيز التاج المصنوع له من زوجه على رأسه تشبها بالملوك وإرضاء لها، هذا الأمر لا يمكن الخوض فيه من حيث صحته من عدمه فالرواية تذكر ذلك وتجعله المحور الذي ترتكز عليه الأحداث. لقد لبس عبدالعزيز التاج واستحق عليه الجزاء المستحق، ورفضه زياد ونال به أن يكون الموقع للجزاء. إذن التاج هنا هو الرمز الذي يفصل بين الانقياد والثبات وبين البقاء على الدين والخروج عنه. التاج هو الرمز الذي علينا أن نناقشه عوضا عن الخوض فيما إذا تزين به عبدالعزيز أم لا.

القارىء لوقائع الفتح الإسلامي للأندلس لا يمكن أن تمر عليه سطور إلا ويقرأ عن التاج مرتبطًا بذكر ملوك القوط النصارى، فالملك القوطي غالبا لا يوصف إلا بشكل التاج الذي كان عليه، إلى الحد الذي أصبح فيه التاج الرمز الأكثر تميزًا له. عبدالملك بن حبيب، رائد المؤرخين الأندلسيين يقول:

> إن موسى بن نصير لما افتتح الأندلس مضى على وجهيه يفتح المدائن يمينًا وشمالاً . . . حتى أتى طليطلة ـ هي مدينة الملوك ـ فوجد بها بيتًا يقال له بيت الملوك ففتحه، فوجد فيه خمسة وعشرين تاجًا مكللة بالدر والياقوت، وهي على عدد الملوك الذين ولوا الأندلس . . . كلما هلك منهم ملك جعل تاجه في هذا البيت، وكتب على التاج اسم صاحبه، وكم أتى عليه من الدهر إلى يوم مات، وكم لبث في ملكه.(٣٤)

وذكر ابن الكرديوس في معرض حديثه عن غنائم الأندلس التي أحضرت إلى دمشق: «فهم أربعمائة رجل من ملوك الأعاجم متوجين.»(٣٥) إن تكرار التاج جعل الصورة عنه، حية في نفوس الأندلسيين. والسؤال هنا، هل يمكن القول إن هذه الصورة المتكونة عن

---

(٣٤) عبدالملك بن حبيب، *تاريخ استفتاح الأندلس*، ص٢٣٨؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، *بغية الملتمس* (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م)، ص٩؛ شكيب أرسلان، *الحلل السندسية* (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.)، جـ١، ص١٧٧؛ يذكر ابن الرقيق [أبو إسحاق إبراهيم، *تاريخ إفريقيا والمغرب*، تحقيق عبدالله الزيدان وعزالدين إبراهيم موسى (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م)] بأن موسى بن نصير حمل هذه الخمسة والعشرين تاجًا معه إلى المشرق. وقد ذكر أيضًا في الخطبة المنسوبة إليه أن المسلمين سوف يلاقون ملوكًا وعليهم تيجان.

(٣٥) ابن الكرويوس، أبو مروان عبدالملك، *تاريخ الأندلس*، دراسة وتحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، ج١٣ (مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥، ١٩٦٦م)، ص٥٠.

التاج وارتباطها بملوك أسبانيا النصارى من القوط قد وجد له تأثير في صياغة قصص روايات مقتل عبدالعزيز؟ وهل يمكن التساؤل أيضًا في ضوء وجود أسباب تجعلنا نتردد في قبول وضع عبدالعزيز التاج على رأسه حسبما سوف نناقش لاحقًا، إن الذين صاغوا مثل هذه الروايات، على افتراض أن هناك من قام بمثل هذا العمل، قد وجدوا في شيوع الأفكار المتداولة عن التاج دافعًا لهم لكي يحقنوا بها روايات أسباب القتل؟ وأخيرًا هل لكل ما قيل علاقة بظهور روايات للبس عبدالعزيز التاج مع أول تدوين لها في المصادر الأندلسية؟ فالمعلوم أن كلا من المؤلف المجهول وابن القوطية، وهما أول مؤرخين أندلسيين سجلا روايات أسباب مقتل عبدالعزيز، قد ذكرا فقط سبب لبس التاج ولم يشيرا إلى سبب غيره. بينما ابن عبدالحكم وإن كان يسبق الاثنين زمنيا قد ذكر سببا آخر وهو تصغير عبدالعزيز لباب الدخول عليه لكي يدخل الداخلون عليه سجودا مثل عادة الداخلين إلى ملوك القوط. هل نفهم من هذا إذن أن رواية لبس التاج كانت الأكثر شيوعا في الأندلس من غيرها من الروايات الأخرى؟

بالنسبة للشق الثاني من قسم الروايات الأول، وهو الذي يتعلق بما نسب إلى عبدالعزيز من أنه قد صغّر (أو نقّب بابا صغيرا) باب الدخول عليه ليجبر بذلك الداخلين أن يدخلوا عليه سجودًا مثلما جاء في رواية ابن عبدالحكم. هذه الرواية أيضا تحوي سمات متشابهة مع الرواية السابقة، بحيث إنها تمنحنا الفرصة لإعطائها النظرة نفسها والمعاملة التي أعطيناها لسابقتها. أولا من حيث المضمون، نرى أن الرواية أيضا تحتوي على تهمة تصر على أن عبدالعزيز قد ارتكبها في الخفاء، مع أن تصغير باب ليس عملاً عارضًا يمكن للإنسان إخفاؤه ومحو أثره، خاصة والمقصد من تصغير الباب أن يدخل الداخلون عليه من خلاله سجودًا. فهو ليس مثل وضع التاج على الرأس، ومن ثم رفعه في خلوة خاصة. فآثار اللبس يمكن إزالتها وإخفاؤها بينما يصعب إزالة آثار باب في حجمه المشيد، علاوة على أنه يمكن التحقق والتثبت منه إذا ما دعى الأمر لذلك. ومع ذلك لم تشر المصادر إلى أن أحدًا شاهد الباب على هيئته تلك، كما لم تذكر أن أحدا دخل على عبدالعزيز بهيئة الساجد. نحن هنا لا نملك حتى شاهدًا واحدًا، مثلما كانت زوج زياد بن النابغة التميمي في قضية التاج. فالسند هنا إذن ضعيف وغير مثبت وليس له وجود إلا ضمن السياق الروائي للرواية.

بنـاء على المعطيات السابقة، نحن هنا مرة أخرى بإمكاننا، مثلما فعلنا مع قضية التاج، أن نتجاوز الدوران في الحلقة المفرغة التي سوف لن تقودنا إلى ما يمكن الحكم عليه باليقين فيما إذا صغّر عبدالعزيز باب الدخول عليه أم لم يصغّر. ونستعيض عوضًا عن ذلك بالبحث عما يمكن اعتباره مؤثرات قد تكون صياغة الرواية قد تأثرت بها. فالمؤثرات التي نظن أن روايات هذا الشق من التهمـة التي أودت بحياة عبدالعزيز لا تقدم نفسها مثلما قدمت روايات التاج التي تميل إلى الاعتقاد أنها تغذت بما كان متواترًا عن التاج في وقائع الفتح الأندلسي. هنا ينعدم وجود مؤثر أندلسي محتمل يتزامن مع وقت حادثة القتل، ولكن على أية حال نحن لا نفتقـد إلى قرائن يمكن أن نسوقها كدلائل مع زمن ظهور الحادثة مسجلة في المصادر التاريخية.

على أثر فشل غزوة بحرية قام بها المجوس (النورمان) على شواطىء الأندلس الغربية في السنة **٢٢٩**هـ،[٣٦] قام ملكهم اريك الدنماركي بإرسال وفد دبلوماسي إلى عبدالرحمن الأوسط (**٢٠٦** ـ **٢٣٨**هـ) الـذي رد عليه بسفـارة عليها سفير الأندلس يحيى بن الحكم الغزال ـ والذي يعرف بالغزال ـ (**١٥٦** ـ **٢٥٠**هـ). وقد قضى الغزال ردحًا من الزمن في عاصمة الملك اريك وعاد ليكتب مشاهداته هناك. وكان مما ذكره:

> واستدعاهم ـ ملك المجوس ـ بعد يومين إلى رؤيته فاشترط الغزال عليه ألا يسجد له ولا يخرجهما عن شيء من سنتهما. فأجابهما إلى ذلك. فلما مشيا إليه قعد لهما في أحسن هيئة وأمر بالمدخل الذي يفضي إليه فضيق حتى لا يدخل عليه إلا راكعًا. فلما وصل إليه جلس إلى الأرض وقدم رجليه وزحف على إليته زحفة، فلما جاوز الباب استوى واقفا.[٣٧]

وقد رويت لنا رواية أخرى من المنطقة الإسكندنافية راويها أيضًا سفير مسلم وهو ابن فضلان الذي اختطف إلى هناك من قبل القسم السويدي من سكان تلك المناطق في حدود

---

(٣٦) يعـرف هؤلاء الغـزاة في المصـادر التاريخية بأسماء عديدة مثل المجوس لما قيل إنهم كانوا يحملون المشاعل في هجومهم على مدن الأنهر والشواطىء ليلًا، وكذلك النورمان والمقصود به رجال الشمال أو القادمون من الشمال. وهم في الحقيقة فرع من شعوب جرمانية الأصل قطنت ما يعرف بالمناطق الإسكندنافية. وقد هاجم شواطىء الأندلس الفرع الذي سكن ما يعرف بالدنمارك حاليًا. والاسم الذي يعرف به هؤلاء حاليًا هو الفايكنج Vikings.

(٣٧) ابن دحيّة، أبـو علي عمـر بن الحسن، *المطرب في أشعار أهل المغرب*، تحقيق مصطفى عوض الكريم (الخرطوم: مطبعة مصر، ١٩٥٤م)، ص١٣٢.

سنة ٣٠٤هـ. بعد أن قضى ابن فضلان ردحًا من الزمن هناك عاد ليكتب هو الآخر مشاهداته في بلاد السويد، ومما قاله: أنه لاحظ أن منازلهم عادة يوجد بها باب واحد لا يتناسب طوله مع قامة هؤلاء الشماليين العملاقة، وعندما سأل عن سبب ذلك مستغربا، أجيب «إذا هوجمنا يمكن لمحارب واحد أن يبقى داخل المنزل ليقطع بسيفه رأس كل داخل من الباب الواطئة، وكل داخل لابد أن ينحني.» وقد علق ابن فضلان قائلاً: «الأبواب كانت واطئة جدا لدرجة أني أنا نفسي كان عليّ أن أنحني جدا لأدخلها.»(٣٨)

في الحقيقة لا نستطيع أن نجزم أن رواية تصغير عبدالعزيز باب الدخول عليه قد نُقلت فكرتها تمامًا مما ذكره يحيى الغزال وابن فضلان. فالرواية مفروض أنها أقدم زمنًا من زمن تسجيل هذه المذكرات. ولكن مع ذلك يبقى هناك أمر مهم جدير بالملاحظة، وهو أن ظهور رواية تصغير الباب، وهي الرواية التي دونت لأول مرة في رواية ابن عبدالحكم، تتقارب من حيث الزمن مع وقت كتابة يحيى الغزال مشاهداته بعد عودته من رحلته (ابن عبدالحكم توفي في السنة ٢٥٧هـ، بينما توفي يحيى الغزال في السنة ٢٥٠هـ). وهذه الحقيقة في الواقع تقوي الاحتمال في أن تكون روايات مقتل عبدالعزيز قد تغذت في تحوير وقائعها على بعض ما كان قد بدأ يتداول فكريًا بين الناس نتيجة قراءتهم لما ذكره كل من يحيى الغزال أو حتى ما كتبه ابن فضلان، علاوة على احتمال أن تكون مثل هذه الأبواب قد وجدت في الأندلس طالما أن بُناتها يشاركون الإسكندنافيين في الأصل الجرماني الواحد، ويشاطرونهم ظروفهم الاجتماعية المتوارثة نفسها.

الأمر الآخر، فعلى الرغم من تأكيدنا أن روايات أسباب مقتل عبدالعزيز لابد أنها كانت قد ظهرت في الأندلس عقب مقتله مباشرة إلا أننا لا نعرف إذا ما كانت الروايات التي بين أيدينا هي نفسها في المصادر التاريخية من حيث العناصر والفحوى الأصلية، أم أنها مع تداول الروايات قد تعرضت لتغيير أو إضافات. صحيح أن قضية التاج كرمز ملوك القوط كان أمرًا قد ملأ الأذهان في الأندلس قبيل حادثة مقتل عبدالعزيز، ولذلك فاحتمال أنها اعتمدت عليها في صياغتها وارد إلى حد كبير، ولكن في الوقت نفسه لا نعرف أن المصادر الأندلسية قد ذكرت قضية تصغير الباب حتى بعد روايتها من قبل ابن عبدالحكم، ولذلك

(٣٨) أحمد عبدالسلام البقالي، *مغامرات سفير عربي في إسكندنافيا منذ ١٠٠٠ عام* (وهو في الأصل يعرف بمشاهدات ابن فضلان) (جدة: تهامة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٨٠.

فهي تبقى رواية مشرقية قابلة للتأثر بالمؤثرات التي كانت متداولة هناك. هذا مع العلم، كما أشرنا، أن جميع روايات حادثة القتل قد دونت بعد الحادثة في المصادر التاريخية بعد ما يزيد على القرن ونصف القرن في حالة ابن عبدالحكم، وما يزيد على القرنين عند المؤلف المجهول وابن القوطية.

الفرضية الأخيرة تجعلنا قادرين على القول إن الروايات المتعلقة بمقتل عبدالعزيز تحوي الكثير من عناصر التأثر، مما كان متداولاً وشائعًا من حقائق مرتبطة بأحداث أخرى وليس بالحادثة نفسها. كما أن الفرصة تقوى لكي نقول إن الروايات تحوي أيضا عناصر تأليفية لا يمكن إخفاؤها، فهي تتأرجح بين تقديم نفسها كشواهد ثبوتية لتهم أكد عليها الذين وقفوا ضد عبدالعزيز وبين محتواها التركيبي الذي يعكس تدخلاً خارجيًا في تشكيل عناصرها وربطها. ولا نخال بهذا الصدد إلا أن المقري كان سندا لنا فيما ذهبنا إليه حينما اعتبر روايات مقتل عبدالعزيز لا تخرج عن كونها دسائس،(٣٩) بمعنى أنها لا تعكس سوى الحقائق التي كانت في مخيلة رواة الروايات. وهذا السند يقوى حتمًا حينما نقرأ الصفة التي أعطاها ابن عذاري لهذه الروايات حينما وصفها بأنها حكايات. فعلى حد قوله: «وأكثر الناس على أن هذه الحكاية لا تصح، وإنما قتلوه بأمر سليمان لهم بذلك إذ نكب والده.»(٤٠)

على عكس الروايات السابقة التي قلنا إنها تتضمن دلائل الاعتماد على قرائن عامة متداولة في صياغتها، الروايات التي أدخلت الخليفة سليمان بن عبدالملك ضلعًا في مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير تعتمد على مرتكزات موثقة تاريخيًا. يضاف إلى ذلك أن الروايات تعتمد على دلائل ثبوتية لها علاقة مباشرة بالحادث. وهذه العلاقة غير الحسنة التي تروى أنها كانت قائمة بين والد عبدالعزيز بن موسى بن نصير والخليفة سليمان بن عبدالملك والتي وصلت إلى ذروتها لأسباب عديدة ـ كما يقال ـ أيام فتح الأندلس وإلى وفاة موسى.

هذه العلاقة غير الحسنة بين كل من سليمان بن عبدالملك وموسى بن نصير يبدو أنها كانت قديمة قدم معرفة الاثنين لبعضهما البعض، وإن كان الواضح أن سليمان هو حامل دفتها دومًا أكثر من موسى. وهذا يعود، حسب التواتر التاريخي، إلى ما قبل تولي سليمان

---

(٣٩) المقري، *النفح*، جـ١، ص ٢٨١.

(٤٠) ابن عذاري، *البيان*، جـ٢، ص٢٤.

الخلافة وتولي موسى ولاية المغرب. فالمصادر التاريخية تذكر أن سليمان كان قد حنق على موسى حينما كان في العراق في قضية مالية في وقت تولي الحجاج بن يوسف الولاية هناك، وكان سليمان يحلف لئن ظفر بهما ـ الحجاج وموسى ـ ليصلبنهما، حتى ليقال إن سليمان كان معارضا لتولي موسى ولاية المغرب الذي ولي عليها من قبل الوليد بن عبدالملك بالتدخل من والي مصر حينذاك عبدالعزيز بن مروان.(٤١) هذه العلاقة السيئة يبدو أنها ازدادت سوءًا بعد فتح الأندلس وتولي سليمان الخلافة. فالروايات التي تتحدث عن أسباب ازدياد العلاقة سوءا في الحقيقة كثيرة وتروى من قبل المؤرخين بكثير من التفاصيل، ولكن يمكن إيجاز نقاطها أولاً إلى عدم امتثال موسى لأمر قيل إنه وصله من سليمان بينما كان عائدًا مع غنائم الأندلس إلى المشرق، حيث إن الأمر كان يطلب من موسى التمهل في السير إلى دمشق لأن الخليفة الوليد كان يحتضر وكان سليمان، على حسب الرواية، يرغب أن تدخل غنائم الأندلس إلى عاصمة الخلافة في مستهل حكمه.(٤٢) وكان لعدم امتثال موسى لأمر سليمان إيذانًا ببداية النكبات التي تعرض لها من قبله. فالمصادر التاريخية مليئة بالروايات التي تتحدث عما تعرض له موسى من الإهانات الشخصية والنفسية والجسمانية علاوة على الغرامات المالية.(٤٣)

---

(٤١) ابن قتيبة، *الإمام والسياسة*، ص ١٧١. ولم يوضح المؤلف سبب هذا الحنق، ولم يوضح أيضًا شيئًا عن القضية المالية التي أشار إليها، واكتفى بالقول (وكان حنقه ـ أي سليمان ـ عليهما ـ الحجاج وموسى ـ لأمر يطول ذكره). ويشير بعض المؤرخين إلى أن أسباب كراهية الخليفة سليمان بن عبدالملك لموسى بن نصير والحجاج بن يوسف الثقفي لاقتناع سليمان بأن أخاه الوليد بن عبدالملك تآمر ضده لإبعاده عن ولاية العهد وأن قواد الدولة الكبار وعلى رأسهم موسى بن نصير والحجاج كانا من المؤيدين لإبعاده عن منصب ولاية العهد. انظر أيضا: ابن عذاري، *البيان*، جـ١، ص٤٠؛ عبدالملك بن حبيب، *تاريخ استفتاح الأندلس*، ص٢٣٢.

(٤٢) هذه الحادثة ترويها المصادر التاريخية بتفصيلات واسعة، انظر: ابن قتيبة، *الإمامة*، ص١٥٩، وقد أورد ابن قتيبة الكلام التهديدي الذي واجه به سليمان موسى عند دخوله دمشق: «إنه بعد وفاة الوليد. . . وأفضت الخلافة إليه «أي سليمان»، بعث إلى موسى، فأتى به فعنفه بلسانه، وكان فيما قال له يومئذ: أعلى اجترأت، وأمري خالفت. . . والله لأقللنّ عدوك، ولأفرقنّ جمعك، ولأبيدنّ مالك.»، ص١٥٩.

(٤٣) ابن قتيبة، *الإمامة*، ص ص ١٦٠ ـ ١٦١.

إن سوء العلاقة بهذه الصورة التي كانت قائمة بين موسى وسليمان لابد أنها كانت معروفة وشائعة التداول سواء بين الأندلسيين أو المشرقيين. ولابد بناء على ذلك أنها كانت هي الأخرى مصدرًا تغذت منه الروايات التي هدفت إلى إدخال الخليفة سليمان كشريك مباشر في مقتل عبدالعزيز بن نصير. خاصة وأن أخبار تهديد سليمان لموسى الواضح، وما قام به من أعمال انتقامية تجاهه باتت معروفة وأقرب إلى أن يقبل بها الناس إذا ما حاول المشيعون لهذه الرواية الاستنفاع منها وإعلانها على الناس بهذا المحتوى. ومن المؤكد أن ثبوت المستندات التي اعتمدت الرواية عليها جعلت الناس تتقبل أن يكون سليمان ضلعًا في هذه الحادثة أكثر من تقبلها المزاعم التي حوتها الروايات التي تتعلق بقضية لبس التاج وتصغير الباب، والذي ذكر المؤرخون أن الناس لم يصدقوها، كما أشرنا سابقًا.

إن قوة المستندات التي ارتكزت عليها رواية إدخال سليمان كشريك في حادثة مقتل عبدالعزيز والتي أوعزت لقتله توحي إلى القول أنهم لم يقوموا بالتخلص من عبدالعزيز إلا بأمر مباشر من الخليفة سليمان. فأمر القتل، كما تذكر الروايات، قد صدر من قبل سليمان ـ نتيجة لتصميمه على التخلص من موسى وآل بيته ـ إلى خمسة من وجوه العرب في المغرب والأندلس لقتل عبدالعزيز.(٤٤)

هذا وتلمح مصادر تاريخية أخرى بأن سبب غضب سليمان بن عبدالملك واتخاذه قرار قتله لا يعود إلى ما كان بينه وبين والد عبدالعزيز من سوء علاقة، وإنما يعود السبب إلى وصول أخبار إلى الخلافة بأن عبدالعزيز حينما سمع بما كان بين أبيه وسليمان قد تفوه بكلمات ضد سليمان فُهم منها أنه يهدد بالاستقلال بالأندلس.(٤٥) فابن عذاري لا يعتبر ما صدر من

---

(٤٤) وهؤلاء هم: ١) حبيب بن أبي عبيدة الفهري، ٢) ابن وعلة التميمي، ٣) سعيد بن عثمان بن ياسر، ٤) عمر بن مؤلة التميمي، ٥) عمر بن كثير. ويضاف إلى هؤلاء اسم سادس هو عمر بن شرحبيل. ويبدو أن بعض هؤلاء المذكورين كانوا في المغرب، لأن سليمان بن عبدالملك، كما تشير بعض الروايات، قد أمر عبدالله بن موسى بن نصير (شقيق عبدالعزيز ووالي المغرب حينذاك) بأن يرسلهم إلى الأندلس بدعوى مؤازرة شقيقه في أعمال إدارته. والخمسة هؤلاء حاولوا في الأندلس الاتصال بآخرين مثل زياد بن النابغة التميمي (الذي قبل الأمر وقام بقتل عبدالعزيز نفسه) وأيوب بن حبيب اللخمي (الذي رفض الانضمام ربما بسبب قرابته لعبدالعزيز) وعبدالله بن عبدالرحمن الغافقي (الذي رفض الانضمام لقناعته ببراءة عبدالعزيز).

(٤٥) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص١٧٩.

عبـدالعـزيز مجرد كلمات تهديدية ضد سليمان، ولكنـه عزم حقيقي على «خلع دعوة بني مروان . »[٤٦] ويضيف ابن الرقيق القيرواني رواية منفردة في هذه القضية ويقول «بأن سليمان أرسل إلى عبدالعزيز رسلاً فلم يرجع إلى الطاعة وجاء الرسل بالكتاب إلى حبيب بن أبي عبيدة ووجوه العرب فقالوا لهم : ما يمنعكم من هذا اليهودي ! قالوا لا طاقة لنا به ، فقالوا : والله لئن لم تقتلوه لنخبرنَّه ! »[٤٧] وفي هذه الرواية يؤكد ابن الرقيق خروج عبدالعزيز عن طاعة سليمان واستقلاله بالأندلس ، حيث لا تنفع رسائل سليمان له بالعودة إلى الطاعة . عند ذلك فقط يتحول رسل الخليفة إلى الجماعة التي قتلت عبدالعزيز فيما بعد .

إن كل هذا يبقى متماشيا مع الصياغات المختلفة التي قُدمت بها الروايات التي تميل إلى إشراك سليمان في مقتل عبدالعزيز، ولكن ما يبقى شاذا هنا هو الوصف الذي حرض به رسل سليمان حبيب بن أبي عبيدة والآخرون من وجوه العرب من وصفهم عبدالعزيز بأنه يهودي ! وكذلك قول الرسل لهؤلاء بأنهم إذا لم يقتلوا عبدالعزيز فسوف يخبرونه؟ وابن الرقيق لم يخبرنا عن الأمر الذي سوف يخبر به رسل سليمان عن وجوه عرب الأندلس إذا لم يساعدوهم في التخلص منه .

دراسة نقدية للروايات

بعد تقديم الروايات التي تحدثت عن مقتل عبدالعزيز ودراستها وتحليلها يمكن لنا أن نلخص الأسباب التي أدت إلى القتل كالتالي :

١ ـ الرواية الأولى ذكرت أن عبدالعزيز قتل بسبب امتثاله لرغبات زوجه وقبوله بوضع تاج على رأسه وفي هذا تشبه بملوك القوط النصارى ، وتخل عن التزاماته المطلوبة منه كحاكم مسلم .

٢ ـ تذكـر الـروايات أن سبب استحقـاق عبدالعزيز القتل يعود إلى تصغيره باب الدخول عليه، أيضا نزولاً عند رغبة زوجه ، ليضمن بهذا العمل دخول الداخلين عليه سجودا ، وفي هذا خروج كلي من عبدالعزيز للتعاليم الشرعية ، وفيه الأمر الذي يصل به إلى حد ادعائه الألوهية .

---

(٤٦) ابن عذاري ، *البيان* ، جـ١ ، ص٤٧ .

(٤٧) ابن الـرقيق القـيرواني ، *تاريخ إفـريقيا والمغـرب* ، تحقيق التميمي الكعبي (تـونس : د.ت . ، ١٩٦٧م) ، ص ص ٩٥ ـ ٩٦ .

٣ ـ تذكر الروايات أن سبب القتل يعود إلى قرار كان عبدالعزيز قد اتخذه، بسبب ما لحق بوالده من سليمان بن عبدالملك، للاستقلال بالأندلس عن الخلافة، وفي هذا خروج من عبدالعزيز لوحدة الكلمة الإسلامية ومحاولة لفتح باب الانفصال السياسي على مصرعيه.

هذه الأسباب، والتي التزمنا بإطلاق هذا المسمى عليها إلى الآن، هي في واقع الأمر تهم وجِّهت لعبدالعزيز وقدمت كمسببات استحق من أجلها الموت. والتهم الثلاث هي بدون جدال تُهم قوية يستحق عبدالعزيز عقاب الموت لواحدة منها، ناهيك عن الثلاث مجتمعة. الأولى والثانية فيها مروق عن الدين، والثالثة فيها خروج عن الطاعة التي أؤتمن عليها. وكلها لا تقبل التراجع عنها إلا بإيقاع القتل. والسؤال الآن حيال كل ذلك هل ارتكب عبدالعزيز فعلا كل هذه المعاصي أو بعضها؟ لماذا هذه التهم الثلاث؟ ولماذا لم يكتف بواحدة منها طالما أن الواحدة منها كفيلة بإيقاع حد القتل عليه. ولكن السؤال الأهم من السؤالين السابقين هو هل يعقل من رجل مثل عبدالعزيز له تلك السمعة والمكانة المعروفة أن يرتكب مثل هذه الأفعال، وهو بدون شك مدرك لمدلولاتها وعواقبها

حيال الإجابة عن مثل هذه التساؤلات، ومن أجل الدفاع عن عبدالعزيز، بعد تقديم الآراء بخصوص الروايات التي تتهم عبدالعزيز بارتكابها لا تملك الكثير، سواء في الإجابة عن التساؤلات ولا فيما تدافع به عنه. ولقد سبق أن أشرنا إلى أن وسائلنا حيال هذه سوف لن يتعد توظيف التفسير المنطقي أو الاستشهاد ببعض المعلومات المبثوثة هنا وهناك في المصادر التاريخية أو حتى العودة إلى المسار التاريخي المتزامن مع وقوع حادثة القتل. وبتوظيف هذه البراهين رغم ضعفها أحيانًا وقلتها تارة نبدأ في قراءة الروايات قراءة نقدية.

التاريخ عادة لا يبنى على السرائر ولا يقوم على تفسير النوايا الخاصة. ولكن فرضية التهمة التي تتحدث عن رضوخ عبدالعزيز لمطالب زوجه ووضعه التاج على رأسه تستند تماما على هذه القواعد. وهنا تبرز المعضلة بين لبس التاج كما تدعي التهمة وبين معقولية أن يقبل عبدالعزيز القيام بعمل مثل هذا وللغرض الذي تشير إليه التهمة، وهو تقليد ملوك القوط النصارى، وهذا خبر لا نعرف له مصدرًا سوى وشاية حملتها زوج زياد بن النابغة إلى زوجها. وفي هذه الحالة ليس أمامنا إلا القبول بما قيل، وعند ذلك نكون قد شاركنا متهمي عبدالعزيز بإمكان قبول القيام بما فعل، أو عدم القبول، وعند ذلك نحن علينا أن نوجد

البراهين التي تؤكد على قوة الرادع الديني لدى عبدالعزيز الذي يحد بينه وبين أن يكون واقعا في مثل تلك الهفوات. الأمر بدون شك صعب أمام عدم توافر مثل تلك البراهين، ولكن مع ذلك يوجد القليل الذي يمكن أن نعول عليه حياله. فهناك الشهادة القوية التي نطقها موسى بحق ابنه عبدالعزيز أمام الخليفة سليمان بن عبدالملك بعد رؤيته رأسه الذي حمله القتلة إلى بلاط الخلافة: «قال موسى، أعلمه صوّامًا قوّامًا، فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيرا منه.»[٤٨] وزاد ابن عذاري أن موسى أردف قائلا: «هنيئًا له الشهادة.»[٤٩] الشهادة هذه لا ينبغي ألا تؤخذ كرثاء من أب مفجوع على ما انتهى إليه مصير ابنه، ولكن كإثبات واقع كان موسى يعرفه في ابنه، ولعل تفوه موسى بصفات ابنه أمام الخليفة تقوي من توافر هذه الصفات لدى عبدالعزيز، ولعل موسى لم يكن الوحيد الذي عرف عبدالعزيز بصفاته تلك، فأغلب أهل الأندلس كانوا يشاركون موسى الرأي في عبدالعزيز، وأبدوا عدم تصديقهم لما روجه قتلته.[٥٠] والرأي لدى الأغلبية، كما يلخصه الرازي، أن عبدالعزيز هو من خير الولاة،[٥١] ولعل فيما أوردناه من براهين كافية للقول إن عبدالعزيز لم يكن ذاك الشخص الذي يمكن أن يقع في انحرافات تتعارض مع مبادئه الدينية بسهولة.

النقطة الأخرى التي تحيك الشك حول التهمة التي وجِّهت إلى عبدالعزيز وتضعفها تكمن في الفحوى السياقي المتناقض للتهمة نفسها. لقد كان محور التهمة التي وجهت إليه هو المروق الديني. فعبدالعزيز قبل وضع التاج على رأسه تشبهًا بملوك النصارى، وعليه فقد نُعت باليهودي تارة وبالنصراني تارة أخرى.[٥٢] ومع ذلك، ومع الإصرار على ارتداده عن الإسلام، دُبرت مؤامرة قتله في المسجد وتحديدا في صلاة الفجر. وقد تعمد القتلة إلى

---

(٤٨) ابن عبدالحكم، *فتوح إفريقيا*، ص٨٥؛ ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، ص٣٦؛ الحميدي، *جذوة المقتبس*، رقم ٦٥١، ص٢٩٠؛ الضبي، *بُغية الملتمس*، رقم ٥٢١، ص٢٧٣.

(٤٩) ابن عذاري، *البيان*، جـ٣، ص٣٢.

(٥٠) وعبارة ابن عذاري هي كالتالي: «وأكثر الناس على أن هذه الحكاية لا تصح.» *البيان*، جـ٢، ص٢٤.

(٥١) هذه المعلومة يوردها ابن عذاري نقلاً عن الرازي، *البيان*، جـ١، ص٢٤.

(٥٢) المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص ٢٨.

التبكير بالأذان «قول عبدالعزيز لمؤذنه لقد عجلت وأذنت بليل» وغرضهم في ذلك ليس إلا الاختلاء به وقتله في غفلة عن الناس. قُتل عبدالعزيز وهو يؤم المصلين كعادته. قرأ سورة الحاقة في رواية، والواقعة في رواية أخرى، وقبل أن يتمها رفع زياد بن النابغة سيفه على رأس عبدالعزيز صائحا: «حقت عليك يا ابن الفاعلة» كما في رواية أو «وقعت عليك يا ابن الفاعلة» كما في رواية أخرى. لعلها كانت مصادفة أن يقرأ عبدالعزيز تلك السور أو أنها كانت تصاعدًا حدثيًا لتهمة نسجت عناصرها لكي تتناسب قراءة تلك السور مع العبارة القاضية التي كان على زياد أن ينطقها قبل إنزال سيفه على رقبة إمام المصلين ووالي الأندلس في توافق حواري بيّن.

الوقائع التاريخية المزامنة للفترات التي حكم فيها عبدالعزيز بن موسى الأندلس، وكذلك المعلومات الشخصية المتوافرة عنه هما أيضًا عاملان غير متوافقين ومضعفان لتهمة القتل. لقد حكم عبدالعزيز زهاء السنتين منذ خروج والده إلى المشرق وإلى أن اغتيل (في صفر ٩٥هـ إلى رجب ٩٧هـ). وهي مدة قصيرة كانت كفيلة بأن تأخذ منه كل وقت لتحمل مسؤوليات جسيمة كانت قد أوكلت به. فهو كان عسكريًا منشغلاً بإنهاء الفتح في مناطق الأندلس الشرقية وتحديدًا في مقاطعة تدمير والتي كان فتحها من أصعب فتوحات مناطق الأندلس. بعد الانتهاء من ذلك، كان على عبدالعزيز أن يواجه المسؤولية الكبرى، وهي تنظيم نقل الأندلس إداريا للحكم الإسلامي. وقد لخصت عبارة الرازي أعمال عبدالعزيز في هذا المسار ونجاحه في ذلك: «فضبط سلطانها وسد ثغورها وافتتح مدائن كثيرة.»(٥٣) وبدون الاسترسال في تعداد مآثر عبدالعزيز حيال تلك المسؤوليات والأعباء، ينبغي علينا أن نتساءل قائلين: هل من الممكن أن تترك هذه المسؤوليات الكبيرة والأعباء الثقيلة لعبدالعزيز وقتًا لكي ينصرف فيه إلى صغائر لا تتوافق مع جسامة المتطلبات التي كان هو مسؤولاً عنها والتي استطاع القيام بها خير قيام.

نقاط المرافعات والمعايير التي استعملناها في مناقشة التهمة الأولى هي أيضا قابلة للتطبيق في مناقشة التهمة الثانية، وذلك لتشابه الأرضية في التهمتين. إذا كانت التهمة الأولى قد ارتكزت على تقليد عبدالعزيز لملوك النصارى، فإن التهمة الثانية كانت منصبة،

---

(٥٣) ابن عذاري، *البيان*، جـ٢، ص ٢٤.

في تصغيره باب الدخول إليه ليدخل الداخلون إليه سجودًا، على محاكاة الخالق عز وجل. مرة أخرى نتساءل عن إمكان ارتكاب عبدالعزيز صغائر الزلات مثل وضعه التاج على رأسه، ولعله من الأجدى أن نكون قادرين على التساؤل عن مدى احتمال ارتكاب عبدالعزيز ذنبًا أكبر يتمثل في محاكاته الخالق متعمدًا، وذلك بتصغير باب الدخول إليه ليدخل الداخلون إليه سجودًا. لعلنا هنا في وضع أقدر أن ننفي مثل هذه التهمة عن عبدالعزيز مثلما أضعفنا التهمة الأولى.

المعروف عن عبدالعزيز أنه بعد اختيار أشبيلية كعاصمة للأندلس قد اتخذ لنفسه سكنًا في مبنى ملحق بكنيسة ربينة،(٥٤) دير «سانتاروفينا» ليكون مقامًا له ولزوجه بعد أن أحدث فيها تغييرًا، أو كما يقترح محمد عنان، تعديلاً على الطراز العربي،(٥٥) وبنى على بابها مسجدًا وهو الذي قتل فيه.

إن اختيار عبدالعزيز السكن في مبنى ملحق بكنيسة سابقة فيه دلالة على أنه كان قد اختار لنفسه وأهله أبسط سبل الحياة وأكثرها تقشفًا، فحياته على ذلك النمط لا تعدو عن كونها حياة زهد بعيدًا عن كل مظاهر الترف والبذخ. فلو أراد عبدالعزيز الركون إلى حياة المباهج والمتعة أو لم يكن من البديهي أنه يختار قصرًا قوطيًا مما كان تشتهر به أشبيلية، وهي عاصمة الارستقراطية الأسبانية السابقة. إن ما نعرفه عن حياة عبدالعزيز في تلك الحجرات التي اتخذها مسكنًا لا تتفق مع إصرار التهم بأنه كان زوجًا لا يملك القول أمام رغبات زوجه المتطلعة دوما إلى أحلام المباهج الحياتية، كما أنها لا تتماشى إطلاقًا مع الحياة الخشنة والزاهدة التي اختارها عبدالعزيز وزوجه لنفسيهما.

التهم التي تدخل سليمان بن عبدالملك كشريك في مقتل عبدالعزيز بالرغم من أنها تستند على وقائع سوء العلاقة التي كانت قائمه بينه وبين موسى بن نصير، إلا أنها تضعف نفسها إلى حد كبير بتبيانها واختلافها وعدم البقاء على نمط موحد بين رواتها. فنحن إذا ما ابتدأنا بالأمر الذي قيل إنه صدر من سليمان إلى وجوه أهل الأندلس للتخلص من عبدالعزيز نجد أن أوجه التباين بين المؤرخين يمكن رصده بالصورة التالية. ابن الرقيق مثلاً

---

(٥٤) ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، ص ٣٧.

(٥٥) محمد عبدالله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول - القسم الأول* (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص٧٢.

في الوقت الذي يؤكد فيه على صراحة هذا الأمر، نجد ابن خلدون يورد أن الأمر لم يتعد إغراء سليمان جند الأندلس بقتل عبدالعزيز بدون أمر واضح منه.[٥٦] وهكذا بينما نحن نرى سليمان متهمًا لدى كل من ابن الرقيق وابن خلدون، نجد في طرف آخر مؤرخين آخرين يبرئون ساحة سليمان من التهمة ويؤكدون، كما يذهب إلى ذلك كل من الضبي والحميدي، أن مقتل عبدالعزيز لم يكن بسبب أمر أو إغراء من سليمان، ولكنه كان ثورة قام بها الجند ضد عبدالعزيز.[٥٧] الرأيان الأخيران فيهما في الواقع تعضيد لرأي كنا قد سبقنا الإشارة إليه وهو رأي الرازي الذي ذكر أن الأمر كله لا يتعدى «نقمة» من جند الأندلس على عبدالعزيز، وكذلك سندًا لرأي آخر ذكره المؤلف المجهول بأنه حينما بلغ سليمان مقتل عبدالعزيز بن موسى شق ذلك عليه، وأمر واليه على إفريقية بالنظر فيما فعله حبيب بن أبي عبيدة وزياد بن النابغة من قتل عبدالعزيز، وبأن يتشدد في ذلك، وأن ينقلهما إليه ومن شاركهما في قتله من وجوه الناس.[٥٨] ويستطرد المؤلف قائلا إن سليمان ولى بعد ذلك على الأندلس الحرُ بن عبدالرحمن الثقفي وأمره بالنظر في شأن قتلة عبدالعزيز.[٥٩]

إن تأرجح التهم هكذا بين إثباتها على سليمان أو نفيها عنه نفيًا قاطعًا لا شك أنها تولد تساؤلات حول إذا ما كانت مؤامرة قتل عبدالعزيز هي مؤامرة أندلسية محضة استمدت أسبابها من ظروف أندلسية محلية أو أنها مؤامرة تتعدى حدود الأندلس لتشمل مركز الخلافة والخليفة نفسه. إذا ما أخذنا بالشق الأول من التساؤلات، يمكننا القول عندئذ إن المتآمرين هم ليسوا أداة تنفيذ لأمر أصدره عليهم سليمان، ولكنهم عصبة تصرفت بمحض تأثيرات خاصة ولكنها في الوقت نفسه مدركة تمام الإدراك لما كان بين سليمان وموسى من سوء علاقة ومن هذا الإدراك حاولت استغلال الوضع لمكاسبها الذاتية، وإدخال سليمان شريكًا في المؤامرة. وهل يمكن القول أيضا إن هذا الإدراك جعلهم يحملون رأس عبدالعزيز إلى سليمان بعد قتله أملاً بالفوز بالرضا منه على فعلهم بسبب ما كانوا يدركونه من أن هذا العمل سوف يكون متوافقًا مع رغبته تجاه آل موسى.

---

(٥٦) ابن خلدون، *التاريخ*، جـ١، ص ١٥١، وقد سبقت الإشارة إلى رواية ابن الرقيق.

(٥٧) الضبي، *بغية الملتمس*، ص ١٥٨؛ الحميدي، *جذوة المقتبس*، ص ١٨٩.

(٥٨) المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص ٢٩.

(٥٩) المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص ٢٩.

إن تأكيد هذه التساؤلات يحتاج حتمًا إلى وقفات خاصة، فالأمر بدون شك يتطلب توضيح مواقف تخص سليمان بن عبدالملك، كما يتطلب توضيح دواعي تخص الفئة التي تآمرت على عبدالعزيز، ولعل الموقف يتطلب منا أن نبدأ بسليمان لأنه صاحب التهمة الأولى ثم نختم بالمتآمرين باعتبارهم أدوات التنفيذ.

إن تزايد التناقضات والاختلافات فيما يتعلق بحقيقة الدور الذي يفترض أن سليمان بن عبدالملك قد لعبه في مؤامرة قتل عبدالعزيز يمكن أن يثير حالة من الشك في مدى صحة توجيه تهمة التآمر إليه، وعن مدى الضرورة من إصدار الأمر الذي قيل إنه صدر منه تجاه عبدالعزيز، إذا كانت القضية متعلقة بسوء العلاقة التي كانت قائمة بين سليمان وموسى. ألم يكن من الأجدى أن يعزل سليمان عبدالعزيز، وهو القادر على ذلك بدلاً من التآمر على قتله في ذنب ليس له دخل مباشر فيه، أما إذا كان سبب القتل عائدًا إلى ما قيل من أن عبدالعزيز قد هدد بالاستقلال بالأندلس عندما سمع بما كان بين والده وسليمان، فالسؤال هنا هو لماذا فكر سليمان بقتل عبدالعزيز بينما لم يعمل شيئًا ضد شقيقه عبدالله الذي كان واليا على المغرب بتعيين من والده أيضًا، هذا إذا صح أن سليمان كان قد هدد بالقضاء على موسى وأهل بيته كلهم. فالمعروف أن عبدالله بن موسى بن نصير كان لا يزال وقتئذٍ واليًا على المغرب، وهي المنطقة الأهم بالنسبة للأمويين من الأندلس على اعتبار أن الأندلس كان قد نظر إليها على أنها جزء ممتد من المغرب وتابعة لها إداريا وعسكريا وقت مقتل عبدالعزيز. والمفترض أن سليمان لو كان خائفا على استقلال المغرب لكان من البديهي أن يلتفت إلى عبدالله وليس إلى عبدالعزيز.

الاستنتاج الأخير يمكننا أن نشفع فيه رأينا بافتراض آخر، وهو: إذا كان سبب مقتل عبدالعزيز يعود إلى حالة الخصام التي كانت قائمة بين موسى وسليمان، كما يؤكد عليه الذين يصرون على إدخال سليمان ضلعًا في مؤامرة القتل، إذن لماذا روج المتآمرون تهمًا أخرى كافية لتبرير القتل مثل قضية التاج والباب، أو لم يكن غضب سليمان على عبدالعزيز كافيا للقضاء عليه؟ لماذا أهملت التهم الأخرى عند التأكيد على اتهام سليمان؟ هل لأنها كانت عديمة الفاعلية لعدم تصديق الناس لها، كما أشير. وإذا كانت تلك التهم غير صحيحة وفيها عنصر التجني على عبدالعزيز، إذن لماذا لا تكون تهمة سليمان هي الأخرى قابلة لأن تعامل بالمعيار نفسه؟

إن عدم استطاعة المتآمرين على إقناع أهل الأندلس بصحة ما نسبوه إلى عبدالعزيز من تهم نراه يتكرر مرة أخرى بفشلهم في الإقناع بأن سبب التخلص منه يعود إلى تصميمه الاستقلال بالأندلس ولقد عبر عن هذا الموقف عبدالله بن عبدالرحمن الغافقي، الذي وصفه بأنه كان سيد أهل الأندلس صلاحًا وفضلاً، برده على عصبة المؤامرة حينما عرضوا عليه المشاركة في قتل عبدالعزيز حيث أعلموه وأقرأوه كتاب سليمان، فقال: «علمتم يد موسى عند جميعكم، صغيركم وكبيركم، وإنما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه، والرجل (عبدالعزيز) لم ينزع يدًا من طاعة، ولم يخالف فيستوجب القتل، وأنتم ترون، وأمير المؤمنين لا يرى، فأطيعوني ودعوا هذا الأمر، فأبوا ومضوا على رأيهم حبا للسلطان.»[٦٠] إذن وعلى الرغم من تأكد المتآمرين من براءة عبدالعزيز مما نسب إليه إلا أنهم مضوا في قرارهم وكأنهم بذلك يؤكدون على أن نية التخلص من عبدالعزيز كانت مبيتة له سابقا بدون الاعتبار لبراءة عبدالعزيز من عدمه.

ولعل مما يزيد الأمر شكوكًا أن الرسالة التي قيل إن الخليفة سليمان قد أرسلها إلى وجوه أهل الأندلس تتضمن دعوتين تختلف كل واحدة منهما عن الأخرى في مضمونها. المضمون الأول، كما عرفناه، كان أمرا من الخليفة لقتل عبدالعزيز للأسباب التي ذكرناها، ولكن مضمونا آخر لرسالة الخليفة يذكر في المصادر التاريخية على النحو التالي:

هذا ما قاضى عبدالله سليمان أمير المؤمنين على موسى بن نصير، قاضاه على أربعة آلاف دينار، وثلاثين ألف دينار ذهب وازنه طيبه يؤديها إلى أمير المؤمنين، وقد قبض منه أمير المؤمنين مائة ألف وبقي على موسى سائر ذلك، أجله أمير المؤمنين إلى سير رسول أمير المؤمنين إلى ابن موسى الذي بالأندلس ومكث شهرًا يمكثه بالأندلس، ليس له أن يمكث وراء ذلك يومًا، حتى يقبل راجعا بالمال... فإذا أدى موسى ما سماه أمير المؤمنين في كتابه هذا من المال، إلى ما سمى أمير المؤمنين من الأجل، فقد برىء موسى وبنوه وأهله ومواليه، وليست عليهم تبعة ولا طولبت في المال ولا في العمل، يقرون حيث شاءوا، ويسكنون حيث شاءوا... وقد خلى أمير المؤمنين بين موسى وبين أهله ومواليه، ليس له ظلم أحد منهم.[٦١]

---

(٦٠) لقد عُزل عبدالله من ولاية المغرب بعد مقتل عبدالعزيز وعين بدلاً منه عبدالله بن يزيد، المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص٢٩.

(٦١) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ١٨١.

إن نصوص الرسالة تحوي تبرئة تامة لموسى وبنيه، وأن الأمر لم يكن يتعدى سوى دفع فدية معلومة كان سليمان بن عبدالملك قد فرضها على موسى، وأنه كان على عبدالعزيز أن يدفع الجزء المتبقي من الفدية، ومتى ما تم ذلك فإنه لم يكن بقي لسليمان مطالب على موسى وبنيه.(٦٢) وليس هذا فقط، فالرسالة أيضا تحوي اعترافا ضمنيا من سليمان لولاية عبدالعزيز على الأندلس، وأخيرا ليس في الرسالة أية إشارة إلى تهديد بالقتل لأحد وبالتحديد لعبدالعزيز.

ولكن مع ذلك قد يقول قائل إن هناك احتمال ألا تكون هذه الرسالة هي الرسالة نفسها التي تحوي الأمر بقتل عبدالعزيز، وأنه لربما أنه كانت هناك رسالة أخرى. نحن لا ننفي احتمال كون ذلك صحيحًا، فلعل الرسالة التي نحن بصدد الحديث عنها هي رسالة أولى، ومن ثم لربما أرسلت رسالة أخرى، وهي تلك التي تحوي أمر القتل. ولكن بالعودة إلى الرسالة الأولى يمكن القول إنه لم يكن هناك عائق لعودة العلاقة بين سليمان بن عبدالملك وآل موسى سوى تسديد ما بقي عليهم من الفدية المفروضة، ومتى ما تم ذلك فإنه لم يكن هناك داع إلى أن تتعكر العلاقة إلى الأسوأ لينتهي الأمر بأن يأمر سليمان بقتل عبدالعزيز.

الوقائع التاريخية التي تتحدث عن فترات ما بعد دفع موسى بن نصير وعبدالعزيز للفدية التي كانت مفروضة عليه من سليمان تؤكد المنحى الذي سرنا عليه، فالمصادر التاريخية تروي وبتفصيل ما يمكن وصفه بعودة الصفاء بين سليمان وموسى. فموسى خلال هذه المرحلة لم يكن من جلساء سليمان المقربين فقط، ولكنه كان أشبه بالمستشار العسكري له، سواء فيما كان يشغل باله تجاه فتح القسطنطينية أو حتى في أمور المغرب والأندلس. وهذا نلمسه بوضوح من خلال المساجلات العديدة التي دونها لنا عبدالملك بن حبيب وابن قتيبة. ولعل الدليل الأوضح لصفاء العلاقة بين الاثنين هو طلب موسى من سليمان بن عبدالملك، في إحدى المسامرات العديدة التي كانت تتم بين الرجلين، أن يصادق على تعيين

---

(٦٢) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ص ١٧٤ ـ ١٧٥، ويورد المؤلف أن المبلغ الذي كان على عبدالعزيز أن يدفعه إلى مرسول الخليفة هو أربعة آلاف دينار وثلاثين ألف دينار (المجموع أربعة وثلاثون ألف دينار)، ص١٧٧.

ابنه عبدالله على المغرب وعبدالعزيز على الأندلس وموافقة سليمان على ذلك، على أن تكون الولاية لهما سنتين حسبما طلب موسى نفسه.(٦٣)

إذن وأمام كل هذا نستطيع القول إن مبررات قتل عبدالعزيز في مثل تلك الظروف كانت زائلة تمامًا، لأنه من حيث التحديد الزمني، فإن صدور أمر القتل المزعوم يتوافق مع قرب انتهاء السنتين اللتين صادق بهما سليمان بن عبدالملك على تعيين عبدالعزيز واليا على الأندلس، كما يتزامن مع مرحلة عودة العلاقة الحسنة بينه وبين موسى. ولعل دليل ندم سليمان بن عبدالملك على ما حصل لعبدالعزيز وعدم موافقته على قتله نراه أولا في أمره بالوفد الذي حمل رأسه بالخروج من مجلسه وعدم النظر في شيء من حوائجهم.(٦٤) وعدم منح المكافأة التي كان ينتظرها قتلة عبدالعزيز حسبما قيل إنه سوف يعين واحدًا منهم أميرًا على الأندلس،(٦٥) وقد انتهى أمر هؤلاء بالخمول في المصادر التاريخية وزعيمهم حبيب بن عبيدة، وأكبر المرشحين لتولي أمر الأندلس بعد عبدالعزيز توفي سنة ١٢٣هـ وهو يحارب الخوارج في نواحي إفريقية، كما يذكر ذلك الضبي نقلاً عن ابن عبدالحكم.(٦٦) ثانيا، يمكن عزو عزوف سليمان بن عبدالملك عن أمور الأندلس لهذا الندم أيضًا، فالمتوقع من سليمان أنه في حالة إصدار أمر بقتل عبدالعزيز أن يكون قد أشفع هذا الأمر بتعيين من يتولى أمر الأندلس من بعده. وسليمان لم يعين البديل حيث بقيت الأندلس بعد مقتل عبدالعزيز شهورًا لا يحميهم والٍ حتى اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللخي،(٦٧) وهو من آل بيت موسى، ابن شقيقته، مما يؤكد على استمرار أثر آل موسى في الأندلس وبين الأندلسيين.

بالنسبة إلى موسى بن نصير وسليمان بن عبدالملك، إن علامة ارتضاها مع بعضهما البعض يمكن التدليل عليها بخروجهما للحج سويا في سنة ٩٧هـ، حيث يقال إن موسى توفي قبل المدينة ودفن في وادي القرى الذي يحدد المؤرخون مكانه بمدينة العلا الحالية.

---

(٦٣) عبدالملك بن حبيب، *تاريخ استفتاح الأندلس*، ص ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥؛ ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ١٧٤.

(٦٤) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ١٨٤.

(٦٥) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٦٦) الضبي، *بغية الملتمس*، رقم ٦٧٥، ص ٢٧٤.

(٦٧) ابن عذاري، *البيان*، جـ ١، ص ٢٥.

عند مناقشتنا للدور المحتمل الذي كان لسليمان بن عبدالملك في مؤامرة مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير أمكننا أيضا أن نعين وجود فئة كان لها دور مواز في تلك المؤامرة والتي ظللنا إلى هذا الوقت نشير إليهم بوجوه أهل الأندلس أو رؤساء الأجناد الأندلسية. وفي الحقيقة أننا طيلة تعاملنا مع التهم التي بسببها قتل عبدالعزيز أمكننا أن نلاحظ وجود فئة محدودة عرفناهم بأسمائهم كانت أكثر من حريصة على التخلص منه، وهذا الحرص الشديد الذي أبدته هذه الفئة لقتل عبدالعزيز هو الذي ساعدنا إلى القول إن مجمل المبررات التي روِّجت ضد عبدالعزيز لم تكن في الحقيقة إلا أعذارًا واختلاقات قامت تلك الفئة بترويجها لتبرير فعلة كانت قد بيتتها أصلا ضد عبدالعزيز.(٦٨) الروايات التاريخية، في مجموعة من إشارات عرضية، كانت في الواقع عاملاً مساعدًا لنا لكي نصل إلى هذه الخلاصة، ففي تهمة وضع عبدالعزيز التاج على رأسه وعلى الرغم من أن خبر هذا العمل لم يبدأ إلا كوشاية من زوج زياد بن النابغة لزوجها، نرى تلك الفئة تأخذ حكمًا قاطعًا ضد عبدالعزيز أو كما علق ابن عذاري قائلاً: والجند لم يكن لهم هم إلا كشف ذلك.(٦٩) والجند بعد ذلك لم يواجهوا عبدالعزيز بالتهمة المنسوبة إليه، ولعلهم لم يكونوا راغبين في ذلك، ولكنهم واصلوا الإدانة وبدون إعطائه فرصة الدفاع عن نفسه أوقعوا عليه القصاص وأعلنوا التهمة بعد ذلك، هل هذه هي «النقمة» التي أوردها الرازي بغموض؟ أو أن هناك ما يمكن استنتاجه من عدم اتفاق القتلة على رأي واحد، كما أشار إلى ذلك ابن الرقيق، وتهديد من كانوا قد صمموا على قتل عبدالعزيز للذين ترددوا عن المشاركة في القتل بأنهم إذا لم يضموا الصوت معهم فإنهم سوف يخبرونه، أي عبدالعزيز، حيث يعلق راوي الرواية قائلاً: «فسقط في أيديهم.»(٧٠) هل يفهم من هذا أنه كانت هناك نية مبيتة للقتل وأن قصة التاج لم تكن إلا عذرًا، وأن تهمة تصغير الباب لم تكن إلا سندًا للإدانة وتبريرًا إضافيًا للقتل؟

يبقى بعد ذلك سؤال آخر وهو أن المتآمرين إذا كانوا قد حققوا غاياتهم بقتل عبدالعزيز من ترويج تهم التاج والباب، لماذا سعوا أيضا إلى إدخال الخليفة ابن عبدالملك

---

(٦٨) ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، *الحلة السيراء*، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٣م)، جـ٢، ص٣٣٤.

(٦٩) ابن عذاري، *البيان*، جـ٢، ص ٢٤.

(٧٠) ابن الرقيق القيرواني، *تاريخ إفريقية والمغرب*، ص ص ٩٥ - ٩٦.

في الصورة، وجعله شريكا في مؤامرة القتل؟ نحن لا نستطيع، أمام التأكيدات التاريخية الكثيرة، أن ننفي أن سليمان بن عبدالملك لم يرسل إيعازًا بقتل عبدالعزيز، ولكن ما نستطيع تأكيده هو أن مثل هذا الأمر لم يصدر منه إلا بعد وصول أخبار كاذبة عن عبدالعزيز إليه، السؤال عندئذ هو لماذا لا يزالون يرغبون في المزيد من المبررات التي يسندون عليها فعلتهم.

كل هذا يجعلنا أكثر تأكدًا من ذي قبل أنه كانت هناك فعلاً نية مبيتة في الأندلس من قبل أفراد رأت من مصلحتها أن تتخلص من عبدالعزيز. وأمام هذا القرار لم تكن المبررات والتهم التي قدمت كأسباب لقتل عبدالعزيز إلا اختلاقات أراد المتآمرون الاستفادة منها والاستناد إليها لتبرير فعلهم. ولعله من المناسب مرة أخرى أن نذكّر أنفسنا بخلاصة ما توصل إليه كل من الضبي والحميدي حينما قالا: «إن مقتل عبدالعزيز لم يكن بسبب أمر أو إغراء صادر من سليمان ولكنه كان ثورة قام بها الجند ضد عبدالعزيز.»[٧١] إذن مرة أخرى هل يفسر الرأي الأخير عبارة الرازي المهمة وهي «النقمة» التي نقم بها الجند على عبدالعزيز، وهل يؤكد هذا ما قيل إن مقتل عبدالعزيز لم يكن بسبب التهم التي روجت ضده ولكن السبب الحقيقي كان «هو الحب للسلطان الذي كان مالكًا لنفوس المتآمرين.»[٧٢] أكان ذلك للسلطان الذي سوف يناله المتآمرون من لدن الخليفة مكافأة لهم على نجاح تنفيذهم لأمره؛ أم أنه السلطان الذي كان المتآمرون سوف يضمنونه لأنفسهم في حالة الخلاص من عبدالعزيز. لعله ليس هناك فارق جذري بين السلطانين على أية حال، فالهدف في كلتا الحالتين كان لتحقيق هؤلاء المتآمرين لأنفسهم سلطانا في الأندلس.

موقف المؤرخين المحدثين من قضية مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير

البحث هذا لا يدعي امتلاك قصب السبق في موضوع مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير، ولا يدعي الأسبقية إلى جميع الاستنتاجات والاقتراحات التي لها علاقة بالقضية. إن قضية مقتل عبدالعزيز هي لا جدال من القضايا المهمة، وذات النتائج العميقة على مسار التاريخ الأندلسي، من هذا المنطلق استقطبت اهتمامًا واسعًا من قبل المؤرخين ليس في الماضي فقط ولكن تواصلاً إلى وقتنا الحالي، ونتيجة لأن هذه القضية كانت مثار الاهتمام

(٧١) لقد سبق الاستشهاد بهذه المعلومة، انظر تعليقة رقم ٥٧.

(٧٢) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ١٨١.

بالصورة التي أشرنا إليها فإنه بناء على ذلك طرحت أكثر من فكرة وتعددت التفسيرات وتباينت الآراء حولها.

قضية مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير مثل كل القضايا التاريخية اختلف المؤرخون حولها اختلافًا كبيرًا، بحيث يمكن تقسيمهم إلى ثلاث فئات رئيسة، أولاً: الفئة التي قبلت ما طرح من روايات واعتبرتها أسبابا مقبولة للقتل، وهؤلاء لا يمكن تصنيفهم بأنهم أصحاب التوجهات التقليدية وبالتالي يمكن تجاوز إثباتهم هنا. ثانيًا: الفئة التي وقفت موقف الشك من روايات القتل ولكن في الوقت نفسه لم تحاول مبارحة ما أثير حولها من أفكار ورأت أن كل ما طرح حول هذا الموضوع يمكن قبوله ولم تحاول إضافة المزيد من عندها، وهؤلاء يمكن أيضا تصنيفهم بأنهم الفئات المستسلمة لما ذكر في الموضوع، وتبقى أخيرًا الفئة الثالثة، وهي التي رفضت روايات القتل والأسباب التي أعطيت عنها، وبسبب مواقفها تلك، حاولت أن تطرح أفكارًا جديدة وتوسع من دائرة المناقشة حول ما أثير عن الحادثة، وهذه الفئة يمكن تصنيفها بالفئة المتحرية.

إن هذه الفئة هي التي تستحق طرح أفكارها للمناقشة، لأن البحث هذا لا يهتم بأصحاب المواقف المعروفة بقدر اهتمامه بأصحاب التوجهات المتحرية.

لعله من المستحسن، وقد وصلنا في موضوعنا إلى هذا الحد، أن نبدأ بحسين مؤنس باعتباره من الأوائل الذين اهتموا بمناقشة مقتل عبدالعزيز بأسلوب تحليلي أخرجه من النمط التقليدي الذي عولج به الموضوع من قبله. لقد فسر مؤنس عبارة الرازي المبهمة وهي «النقمة» التي نقمها الجند على عبدالعزيز «بأنها الشائعات التي أطلقت من قبلهم عن وقوعه تحت تأثيرات ورغبات زوجه.» وعلى الرغم من هذا التفسير إلا أن مؤنس رفض هذه الروايات، كما رفض أن يكون سليمان بن عبدالملك شريكا في مؤامرة القتل. وقد اعتبر مؤنس أن الروايات المتعلقة بزوج عبدالعزيز هي ملفقة كما يفهم من سياقها، وضعت لكي تستر الدوافع الحقيقية التي حفزت جند عبدالعزيز على قتله. بالنسبة للروايات التي تجعل من سليمان بن عبدالملك طرفًا في المؤامرة، فإن مؤنس يرى فكرة الاستقلال بالأندلس من قبل عبدالعزيز، الأمر الذي قيل إنه بسببه أصدر سليمان أمر القتل، قد بولغ فيها وأن السخط لم يصل إلى حد الثورة وقلع الطاعة. وأضاف مؤنس أن عبدالعزيز لو فكر

بالاستقلال حقا لأبعد حبيب بن أبي عبيدة عن معسكره ولاحتاط منه على الأقل.[٧٣] محمود شيت خطاب، في بحث مفـرد لعبـدالعـزيز يوافق على ما ذهب إليه مؤنس ويزيد «أن عبدالعزيز لو أراد الاستقلال بالأندلس عن الخلافة لأعد لذلك عدته، التي من أولها إبعاد غير الموثوق بهم في صفوف جنده واتخاذ الحماية الكافية لنفسه وتعيين من يعينه على تحقيق مايصبو إليه، حيث إن عبدالعزيز على حد رأيه، لم يتخذ شيئًا من هذه التدابير ولو اتخذ شيئًا منه لما سهل على الطامعين والمنافسين له اغتياله بسهولة ويسر.»[٧٤] السيد عبدالعزيز سالم يجاري مؤنس في شكه من الروايات المتعلقة بزوج عبدالعزيز ويظن أنها ملفقة، وأنها وضعت خصيصا لتدبير مقتل عبدالعزيز.[٧٥] ويختم عبدالمجيد النعنعي هذه الآراء واصفًا التهم التي وجهت إلى عبدالعزيز بأنها تافهة وشكلية، كما يرفض أن يكون سليمان بن عبدالملك ضلعًا في المؤامرة، ويقول إن اتهامه يفتقر إلى الواقعية والعقلانية، فسليمان كان بإمكانه استدعاء عبدالعزيز ومحاسبته بدلاً من التخلص منه.[٧٦]

إن الآراء المستعـرضة هنا تجمع على عدم صحة الروايات التي قدمها الذين قتلوا عبدالعزيز، وأنها قصص أو شائعات، كما يسميها مؤنس، قد وضعت لكي تستر الدوافع الحقيقية للقتل، كما تجمع الآراء على بطلان مشاركة سليمان بن عبدالملك في مؤامرة الاغتيال وتقدم كل واحد منها المبررات التي تراه صحيحًا حيالها، ولكن الذي لا تذكره هذه الآراء هي الدوافع الحقيقية للقتل طالما أنها أجمعت كلها على عدم صحة ما نسب إلى عبدالعزيز من تهم.

إن التـبرئة التي وجدها عبدالعزيز وسليمان من قبل المؤرخين السابقين تأخذ خطًا معـاكسًا لدى مؤرخين آخرين. وهؤلاء على عكس السابقين يتهمون كل من عبدالعزيز وسليمان بأنهما هما الأسباب الحقيقية للقتل. محمد عبدالله عنان، متصدرًا هذا الفريق، يؤكد

---

(٧٣) حسين مؤنس، *فجر الأندلس* (القاهرة: الشركة العربية، ١٩٥٩م)، ص ص ١٢٩ ـ ١٣٣.

(٧٤) محمود شيت خطّاب، *عبدالعزيز بن موسى*، ص ٨٠.

(٧٥) السيد عبـدالعـزيز سالم، *تاريخ المسلمـين وآثارهم في الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة القرطبية* (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ص١١٤.

(٧٦) عبدالمجيد النعنعي، *تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي* (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٦م)، ص٨٥.

أن عبدالعزيز كان حقا يريد الاستقلال بالأندلس، وأن سليمان هو روح المؤامرة والمحرض عليها. لكن المشكلة لدى عنان أنه يفتقر إلى الأدلة الحاسمة على ما يقول ويستند في آرائه هذه على الاستنتاجات التي توصل إليها المؤرخ الأسباني سيمونت Simonet ، والذي هو بدوره لا يقدم الأدلة المقنعة على ما يقول سوى أن عبدالعزيز كان تحت رغبة زوجه يريد أن يقيم مملكة أو إمارة مستقلة على أنقاض المملكة القوطية.(٧٧) وقد أخذ مصطفى أبوضيف أحمد المنحنى نفسه، ضلوع سليمان في المؤامرة واستدل على ذلك بعدم معاقبته لقتلة عبدالعزيز عندما حملوا رأس عبدالعزيز إليه في دمشق.(٧٨) كما استشهد علي محمود حمودة بالرسالة التي أخرجها قتلة عبدالعزيز لأهل الأندلس كدلالة على مشاركة سليمان في مؤامرة الاغتيال.(٧٩)

تباين مواقف المؤرخين السابقة يمكن فهم مبرراتها لأنها اعتمدت أساسا على تفسير الروايات المتداولة عن مقتل عبدالعزيز، وعليه فإن المواقف قد مالت على حسب فهم كل مؤرخ لتلك الروايات. ولكن الروايات، كما بدأنا نفهمها، لا تمثل إلا طرفًا في هذه القضية المعقدة والمتشابكة، وبالتالي لا يمكن التوقف عندها في فهم ظروف مقتل عبدالعزيز الكاملة، فللقضية أطراف عديدة وأحد أطرافها هي الظروف التاريخية الخاصة التي كانت الأندلس تعيشها في زمن ما قبل الحادثة نفسها وأثناءها وبعدها، وهذه مما يمكن تسميتها بالظروف المحلية أو الداخلية الأندلسية. وهذه الظروف كان لها أثرها في توجيه ودفع مسار الحادثة والمتآمرين على حد سواء. وقد تنبه حسين مؤنس لهذه الظروف وألمح إلى أن سبب مقتل عبدالعزيز قد يعود إلى وجود طموحات بين رجال عبدالعزيز، وأن هذه الطموحات هي التي يمكن توجيه التهم إليها.(٨٠) موقف مماثل يأخذه محمد عبدالله عنان ويعتبر أن عدم

---

(٧٧) محمد عبدالله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس*، العصر ١، القسم ١، ص٧٢؛ F.J. Simonet, *Historia de Los Mozarabes de Espana* (Madrid, 1901), I, 147.

(٧٨) مصطفى أبو ضيف أحمد، *القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة* (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٣م)، ص٩١.

(٧٩) علي محمود حمودة، *تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي* (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ص٦٣.

(٨٠) حسين مؤنس، *فجر الأندلس*، ص١٣٠.

قدرة عبدالعزيز على تهدئة ثورة الجند الذين وفدوا على الأندلس بعد الفتح كان هو السبب في القتل، إذ إن هؤلاء الجند على حد رأيه، كانوا هم المحركين للأمور.(٨١)

إبراهيم بيضون متفق مع رأي كل من مؤنس وعنان بمحلية المشكلة، ويطرح القضية من زاوية اجتماعية. فالقضية هنا ليست قضية أجناد، ولكنها الصراع على الحكم بين أطراف القوى الأندلسية التي ظهرت في الأندلس بعد فراغ السلطة من كبار المؤسسين صانعي تلك الانتصارات الباهرة، ويعني بهؤلاء، موسى بن نصير وطارق بن زياد.(٨٢) ولا يتوقف بيضون عند هذا الحد ولكنه يحدد أن المشكلة كانت تكمن في دائرة الصراع الذي كان قائمًا بين القيادات العربية والأسرية، حاكمة كانت آنذاك أو كانت حاكمة في السابق، وهؤلاء، كما يوضحهم هو بنفسه، هم بنو نصير، الحاكمة الآن، وبنو فهر الحاكمة في السابق، بنو نصير الحاكمة في الحضور السلطوي الكبير في المغرب والأندلس ويمثلها حينذاك عبدالعزيز بن موسى في الأندلس وشقيقه عبدالله في المغرب، وبنو فهر في الطرف الآخر، الحاكمة السابقة، الذين نظروا إلى آل موسى كمنافسين لنفوذهم العريق في المغرب، ويمثلهم حينذاك حبيب بن عبيدة الفهري. المنافسة المبكرة بين هاتين الأسرتين في الأندلس هي التي يمكن، على حد رأي بيضون، تفسير حادثة اغتيال عبدالعزيز عليها.(٨٣)

مما سبق، ومن خلال استعراض أهم ما توصل إليه المؤرخون المحدثون من آراء واستنتاجات، يضاف إليه ما تمكن البحث هذا من مناقشته وطرحه، يمكن القول الآن إن الخيوط المتفرقة عن الملابسات المحيطة بحادثة مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير بدأت تتجمع ليتكون منها نسيج موحد يساعد على تلمس الحكم فيه بتيقن أكثر. ومن خلال هذا التيقن يمكن القول أيضًا إن أسباب حادثة الاغتيال قد بدأ يتشكل في محورين متباينين غير متصلين ببعضهما البعض، على الرغم من ارتباطهما العضوي بالحادثة نفسها. المحور الأول يتمثل في جميع الروايات التي روجّت بعد وقوع حادثة القتل، بينما يتمثل المحور الثاني في

---

(٨١) محمد عبدالله عنان، *دولة الإسلام*، ص ٧٢.

(٨٢) إبراهيم بيضون، *الدولة العربية في أسبانيا، من الفتح حتى سقوط الخلافة*، ٩٢/٤٢٢ (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م)، ص٨٨.

(٨٣) إبراهيم بيضون، *الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس، دراسة في أدب السلطة* (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٦م)، ص٧٥.

متابعة واستنطاق الظروف المحيطة بالحادثة. ولقد تبين إلى حد ملموس أن روايات المحور الأول يمكن إلقاء الكثير من ظلال الشك لمحتواها وللأهداف من ترويجها، إلى الحد الذي يمكن الحكم فيها بأنها لا تمثل إلا رغبات وأغراض مختلقيها ومروجيها. بينما في المحور الثاني، ومن خلال الدراسة الدقيقة لجميع الظروف والأسباب التاريخية، علاوة على الاستشهاد بما توصل إليه المؤرخون قديمًا وحديثًا، يمكن القول إن هذه الظروف والأسباب هي التي ينبغي الاستناد عليها في فهم أسباب القتل، إذن تمثل الخلاصة النهائية بأنه في حالة المقارنة بين المحورين يمكن لنا ترجيح المحور الثاني على الأول كأداة يمكن من خلالها، وبدون إهمال المحور الأول كلية لاعتباره شقًا في القضية، أن نسأل السؤال الذي يتركز عليه هذا البحث، وهو لماذا اغتيل عبدالعزيز بن موسى بن نصير؟

أسباب مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير

ليس من السهل إعطاء جواب جاهز عن الأسباب التي أدت إلى قتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير، فالحادثة ليست حدثًا عارضًا معزولاً لا يمكن تحديد دوافع له وأسباب. كما أن القضاء على أحد قادة الفتح الأندلسي وأول حاكم لها في عملية اغتيال مدبرة لا يمكن اعتبارها حادثة عادية يمكن أن توضح ظروفها بمعزل عن الوقائع المصاحبة لها. ولقد بينت المناقشات والاستنتاجات التي تطرق لها هذا البحث إلى الآن أن الفهم الأصح للظروف المحيطة بهذه الحادثة ينبغي أن تكون في التماس أسبابها في التكون التاريخي التي كانت الأندلس تمر به في الفترات المصاحبة لوقوع الحدث. كما أظهرت هذه المناقشات والاستنتاجات أن سلسلة، وليست واحدة، من المسببات بعضها مباشرة وأخرى غير مباشرة ولكنها مرتبطة مع بعضها البعض هي التي أدت إلى هذه الحادثة.

أولا: الأسباب غير المباشرة

في تلمس الأسباب غير المباشرة لمقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير، نحن مضطرون إلى بدء الحديث بالفتح الإسلامي للأندلس وحتى للعودة إلى ما قبل الفتح بقليل. وذلك لأن البدايات الحقيقية للدوافع التي أدت إلى القتل تستقي أصولها من تلك الفترات. وتتمثل هذه في أوضاع شبه الجزيرة الإيبيرية السياسية والاجتماعية قبيل الفتح الإسلامي لها وتأثير

هذه الأوضاع في كيفية الفتح، ويلحق ذلك خروج موسى بن نصير، غير المؤقت، من الأندلس والسياسة الأموية عموما تجاه الأندلس بعد ذلك.

هناك شبه إجماع بين المؤرخين بأن الأندلس قد فُتحت بكاملها بعد معركة المواجهة الرئيسة بين جيش المسلمين بقيادة طارق بن زياد وجيش القوط المدافع عن الأندلس بقيادة لذريق Rodrigo في المعركة المعروفة بمعركة شذونة.(٨٤) ونحن وإن كنا لا نخالف المؤرخين فيما ذهبوا إليه إلا أنه ينبغي علينا القول إن معركة شذونة وإن امتلكت ناصية الحسم لفتح الأندلس، إلا أن الفتح الكامل كان ينبغي أن يؤكد بعد ذلك بعشرات من الفتوحات الصغرى. لأن ما حصل هو أن الملك القوطي، بما له من مكانة اعتبارية، وبموجب واجب الدفاع عن الأرض، تمكن من تعبئة ذلك الجيش الكبير الذي واجه به المسلمين في تلك المعركة. ولكن بعد الانتصار الإسلامي الكبير، والذي لم يكن متوقعًا بالنسبة للقوط، انفرد عقد التآلف الذي كونه الملك القوطي، خاصة بعد مقتله،(٨٥) وعاد كل أمير قوطي إلى منطقته عجلاً ليقوم بالدفاع عنها بطريقته الخاصة، لذا صحيح أن نقول إن معركة شذونة فتحت الأندلس، ولكن الأصح هو القول إن هذه المعركة فتحت الطريق أمام الجيش الإسلامي لينطلق إلى حيث يختار ليقوم بعد ذلك بفتح كل إمارة أو منطقة على حدة. في المشورة التي يقدمها يوليان(٨٦) لطارق إبان انتصار شذونة فيها توضيح لما يقول:

(٨٤) تعرف هذه المعركة (يوم الأحد الثامن والعشرين من رمضان إلى الخامس من شوال سنة ٩٢هـ/٢٦ - ٢٩ يوليو ٧١١م) بأسماء متعددة: شذونة، البحيرة، وادي لكة، سهل البرباط، شريش في السواني. ويذكر المؤرخون أن السبب في تعدد التسميات لهذه المعركة يعود إلى انتقال مواقع المعركة في هذه المناطق التي كانت قريبة من بعضها، وكلما انتقل المتحاربون إلى موقع سميت المعركة باسم الموقع الذي كان فيه النزال. انظر: مصطفى أبوضيف أحمد، *القبائل العربية*، ص٣٩؛ أحمد مختار العبادي، *تاريخ المغرب والأندلس* (الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ت.)، ص ص ٢٩ - ٣٥.

(٨٥) تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن لذريق لم يقتل في معركة شذونة، كما تميل إلى ذلك معظم الآراء، ولكنه قتل فيما بعد في مواجهة أخرى ضد المسلمين بالقرب من ماردة.

(٨٦) هو الكونت يوليان الذي كان حاكمًا على منطقة سبتة، في أقصى الشمال الغربي من المغرب، وقت وصول المسلمين إلى هناك. وقد تقرب إلى المسلمين حيث يذكر لذلك أسباب، وقدم لهم مساعدات عسكرية تمثلت في السفن التي نقلتهم إلى البر الأندلس كما قدم لهم الاستشارات عن الأندلس بحكم معرفته التامة بها.

إن يوليان الرومي الذي ندب العرب إلى غزو الأندلس طلبًا لوتره من ملكها لذريق بما هو معلوم، قال لطارق بن زياد مفتتحها عندما كسر جيش الروم (القوط) على وادي لكه، قد فضضت جيش القوم، ودوخت حاميتهم، وصيرت الرعب في قلوبهم فاصمد لبيضتهم، وهؤلاء أدلاء من أصحابي، ففرق جيوشك في البلدان بينهم، واعمد أنت إلى طليطلة بمعظمهم، وأشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع إلى ولي رأيهم.

ففرق طارق جيشه من استجه، فبعث مغيثًا الرومي، مولى الوليد بن عبدالملك إلى قرطبة، وبعث جيشًا آخر إلى مالقة، وأرسل جيشًا ثالثًا إلى غرناطة مدينة البيرة، وسار هو في معظم الناس إلى كورة جيان يريد طليطلة.(٨٧)

ويستحسن أن نذكر أن هذا الإجراء العسكري هو نفسه الذي قام به موسى بن نصير عند دخوله الأندلس، واتبّعه بعد ذلك أيضا عبدالعزيز بن موسى بن نصير. الأندلس بعد شذونة فتحت مدينة تلو مدينة ومقاطعة أو إمارة تلو مقاطعة وإمارة.

إن ما هدفنا إليه من التوضيح السابق هو إعطاء صورة للحالة السياسية التي كانت سائدة في الأندلس قبل الفتح الإسلامي. كما كان الهدف هو التلميح بأن العمليات العسكرية بصورتها المتوالية تلك لم تكن إلا استجابة لتلك الأوضاع، فالأوضاع السياسية في الأندلس قبل الفتح، كما يجمع على ذلك المؤرخون أيضا كانت تتشكل من الملك القوطي على قمة الهرم الحاكم، ويتدرج تحته بعد ذلك كل الإمارات الإقطاعية والمقاطعات السياسية وحكومات مدن. ولكن الملك على الرغم من تربعه على رأس السلطة العليا في شبه الجزيرة الإيبيرية كاملة، إلا أن ما كان يتمتع به من نفوذ فعلي كان لا يتعدى الحدود الجغرافية للعاصمة وهي مدينة طليطلة وما حولها. ولكن فيما عدا ذلك لم تكن سلطة الملك نافذة على بقية أجزاء الجزيرة التي يبدو أنها كانت تتمتع باستقلال ذاتي تعترف من خلاله بالسلطة المعنوية فقط للملك. وكان للملك علاوة على الاعتراف المعنوي بسلطته حق إعلان الدفاع عن الجزيرة أمام أي خطر خارجي، كما حدث حين دخول المسلمين إلى الجزيرة. ولكن في

---

(٨٧) على الرغم من أن ابن الخطيب يشير إلى نقله هذا الخبر من ابن القوطية، إلا أن طبعات كتاب ابن القوطية لا تحوي مثل هذه الإشارة. ابن الخطيب، لسان الدين، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تحقيق محمد عبدالله عنان (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، جـ١، ص ص ١٠٠ - ١٠١.

الأحوال العادية كانت لكل إمارة أو مقاطعة حق الإشراف المحلي على تسيير الأمور فيها بحيث يتولى الأمير أو الكونت-المهمة السياسية بما يراه مناسبا.[٨٨]

إن الصفة البارزة لأوضاع شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي، والتي يمكن استنتاجها من التقويم السابق هو فقدانها للوحدة السياسية المركزية. ولم يكن ذلك أمرًا جديدًا عليها، ولذلك ومن خلال المراحل التاريخية المختلفة كانت قد اعتادت عليه وعرفت التكيف معه والتعامل به،[٨٩] ولم تعد اللامركزية السياسية الإيبيرية أمرًا مقلقًا لرأس سلطتها وهو الملك القوطي، وبالتالي لم تكن هناك حاجة إلى تغييرها، كما لم يكن هناك داع للملك أن يزيد من سلطته بقدر أكثر مما كان قد رضي به أساسا. ولعل لذريق، آخر ملوك القوط هو خير ما يمكن الامتثال به بهذا الصدد، فهو عسكري طامح قفز إلى الملك بعد أن كان حاكمًا على مدينة قرطبة، وبالتالي كان هو الأكثر فهمًا وقناعة بهذا الوضع.

لكن هذا الوضع السياسي قد تعرض بدخول المسلمين إلى الأندلس إلى تغيير جذري. فالمسلمون ويمثلهم حينذاك موسى بن نصير، لم يكن من المتوقع أن يقبلوا الوضع السياسي السابق. فالنظرة الإسلامية الجديدة على الأندلس كانت مختلفة بحيث إن الهدف الأساسي كان يتجه نحو توحيد كامل شبه الجزيرة الأيبيرية في حكومة مركزية واحدة، ولقد رأينا دلائل تحقيق هذا الهدف يتمثل في عدة خطوات سار عليها موسى بعد الفتح، منها أولاً إصراره على فتح شبه الجزيرة الأيبيرية كاملة ليطلق عليها اسمًا جغرافيًا واحدًا وهو الأندلس. ورأينا ذلك في محاولاته العديدة لإبطاء عودته إلى المشرق أمام إلحاح الخليفة الوليد بن عبدالملك، وحجته في ذلك «انشغاله بما هنالك من العدو وتوطئة البلاد» كما أشار هو في رسالة إلى الخليفة.[٩٠] ورأينا ذلك في موقفه الصارم الذي وقفه ضد مغيث الرومي، فاتح

---

(٨٨) هناك مراجع يمكن الرجوع إليها عن أحوال شبه الجزيرة الأيبيرية خلال الحقب قبل الإسلامية:

Americo Castro, *The Spaniards, An Introduction to Their History*, trans. W. King and S. Margaretten (Berkeley: University of California Press, 1971), pp. 174-208; Stanley G. Payne, *A History of Spain and Portugal* (Madison: The University of Wisconsin Press, 1973), I, 31-55.

(٨٩) عن التفاصيل المتعلقة بكيفية فهم الجغرافيين الأندلسيين لتلك الأحوال وعن الأحوال نفسها انظر: حسين مؤنس، *تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس* (القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

(٩٠) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ١٤٢.

قرطبة، حينما حاول الأخير أن يبني سلطة سياسية لنفسه في المدينة التي فتحها.[٩١] ورأينا ذلك حينما اختار ابنه لتولي الأمر من بعده على الأندلس واختار له عاصمة عليها وهي أشبيلية لتكون باب الأندلس، ويكون هو مستخلفًا على مدائن الأندلس وبلدانها.[٩٢] في كل هذه الشواهد رأينا إصرارًا لا حياد عنه لموسى لوحدة الأندلس، وكأنه بذلك يؤذن بنهاية التمزق السياسي السابق، وأن الأندلس الآن هي أرض واحدة عليها حكومة واحدة مركزية بديلاً عن اللامركزية السابقة. كما أن الشواهد تؤكد سير عبدالعزيز بن موسى بعد والده على نفس السياسة والنهج. فهو أكمل ما بقي من أراضي الأندلس فتحًا وضبط سلطانها وضم ثغورها ومد نفوذها، كما قال عنه الرازي في الرواية التي استشهدنا بها سابقًا.[٩٣]

يمثل خروج موسى بن نصير من الأندلس في أشد أوقات الحاجة إليه ومقتل عبدالعزيز المفاجيء الضربة الأولى التي قضت على آمال الوحدة الأندلسية. ولكن هذان العاملان يمثلان فقط مقدمة لضربات أخرى تلقتها الأندلس كانت كافية لوضع النهاية التامة لما أمل منه نقل الأندلس من الحكم القوطي الممزق إلى الحكم الإسلامي الموحد. أولى هذه الضربات كانت في الفراغ السلطوي غير المعوض التي شعرت به الأندلس على أثر خروج موسى بن نصير. فالأندلس في خلال مرحلة الانتقال الحرجة كانت في حاجة ماسة إلى قيادة ذات كفاءة وإخلاص كانت تتمثل حينذاك في موسى أو فيمن يماثله في تلك

---

(٩١) عن مغيث الرومي وأعماله انظر: المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص ص ٢٨ ـ ٢٩؛ ابن عبدالحكم، *فتوح إفريقيا*، ص٨١؛ المقري، *نفح الطيب*، جـ١، ص١٤، ويروي المقري بيت شعر هدد فيه مغيث موسى وطارق:

أعنتكم ولكن ماوفيتم فسوف أعيث في شرق وغرب

وذلك بسبب غضبه من هذين القائدين، وخاصة موسى، اللذين منعاه من تحقيق مكاسب سياسية لنفسه في قرطبة، انظر: المقري، *نفح الطيب*، جـ١، ص٢٧٩. كما أن هناك دراسة مستفيضة لمحمد بن أحمد أبوالفضل عن «مغيث الرومي وبنوه ودورهم السياسي والحضاري في المغرب والأندلس،» *مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية*، ع ٣٠ (١٩٨١م)، ص ص ١٩٩ ـ ٢٤١.

(٩٢) المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص٢٧؛ ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، ص٢٦؛ ابن الأبّار، *الحلة السيراء*، جـ٢، ص٣٣٤.

(٩٣) انظر تعليقة ٨٧.

الصفات. كما كانت الأندلس أيضًا في حاجة إلى جيش من الإداريين بعد الجيش العسكري الذي قام بمهمة الفتح خير قيام لضمان حدوث تلك النقلة. ولكن لا هذا ولا ذاك وُفرا للأندلس، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط بل زاد عليه أن الجهة التي تقع عليها مسؤولية توفير مثل تلك المتطلبات، وتعني بذلك الدولة الأموية نفسها، قد ساعدت بسياستها غير المدركة لحاجة الأندلس إلى تعميق أثر تلك الضربات. فهي أولاً أخرجت موسى ثم وقفت موقفًا غير مبالٍ لما كان يدور فيها من صراعات سياسية انتهت بقتل عبدالعزيز. وليس هذا فقط، ولكن أيضًا بسياستها التي اعتبرت الأندلس جزءًا من الامتداد المغربي ساعدت ليس فقط على فقدان الأندلس لحدودها الجغرافية ولكن أيضًا إلى فقدانها هويتها، وبالتالي إلى تشخيص حاجاتها الخاصة. كما أن هذه السياسة جعلت من الأندلس أرضًا ممتدة لأرض المغرب، تلك الأراضي التي كانت الدولة الأموية قد بدأت تفقد السيطرة عليها أصلاً. وقد أدى في نهاية الأمر إلى أن تصبح الأندلس وخاصة في ظل غياب سلطة حازمة وإشراف أموي مباشر، الأرض النائية وبالتالي إلى أن تغدو مرتعًا لأصحاب الأهواء والتطلعات الخاصة.

باستعادة ما سبق أن ذكرناه بأن الكيفية التي تم بها فتح الأندلس بعد معركة شذونة كان انعكاسًا لوضع سياسي سائد كانت شبه الجزيرة الأيبيرية تعيشه آنذاك، يمكن التأكد هنا بأنه نتيجة لتلك الظروف وبغياب السلطة الحاكمة القادرة على تنظيم الأمور فإن كثيرًا من عدم التنظيم والتسيب قد صاحب مراحل تلك الفتوحات. لقد سبق لنا إيراد المشورة التي قدمها يوليان لطارق بن زياد إبان معركة الانتصار الكبير بأن ينشر الجيش في أنحاء الأندلس، وذكرنا حينه بأن طارق قد وزع الجيوش عملاً بهذه النصيحة، ولكن هذا التوزع أدى إلى ظهور مشكلة غير منتظرة تجسدت في أن كل فريق عسكري فتح جهة معينة رغب في تملكها والاستقرار فيها. وفي غلبة هذه التوجهات بدأ يسود شعور بإباحة الأرض لعل ما أدى إليها هو سهولة معظم هذه الفتوح وعدم الكلفة العسكرية في تحقيقها. ونتج عن ذلك استفحال أمر يصعب التحكم فيه فيما بعد. وقد علق ابن الكرويوس عن ذلك قائلاً: «وانتشر عسكر المسلمين في الجزيرة يمينًا وشمالاً.»[٩٤] وزاد المقري، نقلاً عن الحجازي في المسهب، في حديثه عن موسى بن نصير «أن ما أضعف المسلمين اتخاذهم المساكن

---

(٩٤) ابن الكرويوس، *تاريخ الأندلس*، ص ٤٣.

وتنافسهم على الرياسة . »[٩٥] ورسم ابن حزم الصورة بتفصيل أدق وقال : «إن الأندلس لم تُخمّس وتقسم كما فعل رسول الله ﷺ فيما فتح ، ولا استطيبت أنفس المستفتحين وأقرت لجميع المسلمين ، كما فعل عمر رضي الله عنه فيما فتح ، لكن نُفِّذ الحكم بأن لكل ما أخذت ، ووقعت فيها غلبة بعد غلبة . »[٩٦] وقد عبّر أكثر من مؤرخ بآراء تتوافق مع ما ذكرنا وكلها تجمع على أن فاتحي الأنحاء الأندلسية وفي ظل غياب قوة مركزية منظمة أخذوا يستأثرون بما فتحوا من دون أن تخمس أو تقسم لهم من حاكم وبدعوى أنها أراض فتحت عنوة . وقد بينت دراستان حديثتان لكل من عبدالواحد ذنون طه ومصطفى أحمد عن هذه الكيفية التي توزع فيها الفاتحون الأوائل في أنحاء الأندلس في تلك المراحل المبكرة والمعاصرة لفترات الفتح .[٩٧]

ما ذكر سابقًا ، علاوة على تأكيده على التوزع والاستقرار غير المنظم والمقنن الذي ساد في الأندلس في مراحل ما بعد الفتح ، إلا أن فيه تأكيدًا أيضًا على تفشي مرض الاستقلالية وبالتالي تولد طموحات سياسية لدى قادة الفتح الصغار الذين انتشروا بدون ضابط في نواحي البلد المفتوحة ، ومن ثم أخذوا يتصرفون من خلال دوافع بأنهم المستحقون لما أمكن وضع اليد عليه من جهة أندلسية معينة . وتفاقم الأحوال بهذه الصفة كان معناه أيضًا أن سيادة الاستقلالية التي كانت متفشية في أندلس ما قبل الفتح أخذت طريقها متنقلة إلى مراحل ما بعد الفتح . وبذلك بدأت الأندلس تفقد أمل الوحدة التي تصورها لها كل من موسى بن نصير وحاول تطبيقها عبدالعزيز بن موسى . والحالة هذه لابد وأنها كانت تؤدي إلى مواجهة حتمية بين أصحاب التوجهات الاستقلالية ، فيما يمكن أن نطلق عليهم دعاة التملك لجزء من الأندلس ، وبين الناظرين للأندلس ككيان موحد كامل لا مكان فيه لأصحاب التطلعات السياسية الخاصة ؛ بمعنى آخر المواجهة بين المركزية واللامركزية

---

(٩٥) المقري ، *نفح الطيب* ، جـ١ ، ص٢٧٥ .

(٩٦) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) ، «رسالة التلخيص لوجوه التخليص ، » *رسائل ابن حزم الأندلسي* ، تحقيق إحسان عباس (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٧م) ، جـ٣ ، ص١٧٥ .

(٩٧) عبدالواحد ذنون طه ، *الفتح والاستقرار* ، ص ص ٢١١ ـ ٢٨٩ ؛ مصطفى أحمد ، *القبائل العربية* ، ص ص ٢٩ ـ ٨٠ .

الأندلسية، وفي هذه المواجهة يمكن أن ترى أولى خيوط أسباب مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير.

على أثر خروج موسى بن نصير والذي أحدث فراغًا في السلطة الإشرافية لنقل الأندلس من الإدارة القوطية السابقة إلى الإدارة الإسلامية بدأت تظهر في الأندلس جبهتان قياديتان متباينتان تختلف كل جبهة في نظرتها للأمور عن الجبهة الأخرى. كانت هناك أولاً جبهة السلطة المركزية ويمثلها عبدالعزيز بن موسى بن نصير، هذه الجبهة كانت ترتكز في نظرتها السياسية على أولوية لا حياد عنها وهي وحدة الأندلس بعد انتقالها إلى يد المسلمين يجب، في نظر هذا الفريق، أن تتحول إلى كيان سياسي واحد وذات حكومة مركزية واحدة. موسى بن نصير كان هو واضع أسس هذا التصور، وكان عبدالعزيز هو المسؤول عن تحقيقه الآن. ولذلك خلّف موسى بن نصير عبدالعزيز على مدائن الأندلس وبلدانها كلها، ولذلك اختار أيضا العاصمة ومقرها أشبيلية.[٩٨] وعبدالعزيز بدوره عمل على تحقيق هذا التوجه حيث رأيناه يكمل فتح ما بقي من مناطق الأندلس، ويضع نواة الحكومة الإسلامية على الأندلس الكبرى، وينجح كما شهد الرازي «في ضبط سلطانها، وضم ثغورها ومد نفوذها.»[٩٩] فمن البديهي، بناء عليه، علينا أن نفهم أن الرازي لم يعن أن عمل عبدالعزيز ذاك كان مقتصرًا على أشبيلية لوحدها بل الأندلس ككل.

ثانيًا، كانت هناك جبهة السلطة اللامركزية، وهؤلاء تمثلوا في أصحاب التوجهات الاستقلالية التي استغلت ضعف الضوابط التي صاحبت النقلة الأندلسية من الإدارة القوطية إلى الإدارة الإسلامية، وأخذت تنتشر في الأندلس، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا. هذا الفريق وهم أصحاب التوجه اللامركزي، وضع في أولوياته السلطة الفردية الذاتية بدلاً من التسليم لسلطة أعلى. رأينا مثال هذه الصورة فيما قام به مغيث الرومي بعد فتحه قرطبة حيث أسكن نفسه فيها مسميًا منطقة نزوله ببلاط مغيث وأعلن ما يشبه حكومة محلية فيها لولا تدخل موسى ومنعه منها.[١٠٠] ونحن بإمكاننا إيراد عشرات الأمثلة لمثل أصحاب هذه

---

(٩٨) المؤلف المجهول، *أخبار مجموعة*، ص ٢٧.

(٩٩) المقري، *نفح الطيب*، جـ١، ص ٢٨١ (ولقد سبق الاستشهاد بما قاله الرازي أكثر من مرة).

(١٠٠) لقد سبقت الإشارة إلى ما قام به مغيث الرومي، انظر تعليقة رقم ٩١.

التـوجهات من سنوات ما بعد مقتل عبدالعزيز وكنتيجة لمقتله، ولكن يبقى ذلك خارج الإطار الزمني لحدود هذا البحث، ولكن حتى من داخل فترتنا يمكن إعطاء أمثلة كافية. هناك مثلاً القائد البربري منوسة الذي ارتبط مع ابنة دوق اكتوانيه، وحاول استغلال هذه المصـاهـرة بالاستقلال بالمناطق الأندلسية الشمالية.(١٠١) كما تذكر المصادر أن أحد القادة العـرب المـرافقين لجيش طارق وهو عبدالملك المعافري، الجد الأول للمنصور محمد بن عامر، قد طلب إقطاعه مدينة قرطاجنة، وهي أول مدينة يفتحها المسلمون، فأقطعت له.(١٠٢)

إن إيجاد مكان للفئة التي تآمرت على قتل عبدالعزيز في أشبيلية بين هذين الفريقين المتعارضين في توجهاتها السياسية ليس بالأمر الهين تمامًا. فمن جهة تمثل هذه الفئة نخبة وجوه الجند الإسلامي الفاتح للأندلس، وبالسبب هذا هم أيضًا النخبة التي وقع عليها عين موسى بن نصير لمساعدة عبدالعزيز في بناء الحكومة الإسلامية الأولى وتحقيق نقلة الأندلس من الحكم القوطي إلى الحكم الإسلامي. فهم بذلك إذن يمثلون المؤسسة الحاكمة التي كان قد أُنيط بها تحقيق وحدة الأندلس كما تصورها موسى وعبدالعزيز. وبناء عليه كان على مسؤولية هذا الفريق، لكونه يمثل النهج السياسي الذي كان يمثله دعاة المركزية الأندلسية، أن يقف أمام رغبات دعاة الاستقلالية المنفردة أو أصحاب التوجهات اللامركزية، كما عرفناهم.

ولكن على عكس ما كان هذا الفريق مسؤولاً عنه، وعلى العكس مما كان عليهم أن يناصروا نجدهم ـ وذلك بسبب إغراء تحقيق أصحاب التوجهات الاستقلالية لبعض من النجاحات الشخصية، وغلبان هذا التوجه عموما في الأندلس ـ يتخلون عن مسؤولياتهم ويتحـولـون هم إلى الفـريق الـذي يغلِّب مكـاسبه الفردية المنتظرة على مصلحة الوحدة الأندلسية. ولكن ما ميز هذا الفريق عن الآخرين هو المكان الذي اختاروه ليكون منطلقًا لتحقيق التطلعات، فإذا كان الآخرون من أمثالهم قد انزوا في الجهات المتباعدة من أنحاء الأندلس، فإن هذا الفريق قد اختار العاصمة أشبيلية لينطلق من قلب المؤسسة الحاكمة

---

(١٠١) انظر عن منوسة فيما كتبه محمد عبدالله عنان، *تاريخ الدولة العربية*، جـ١، ص١٣٧.

(١٠٢) هذه الرواية يذكرها مصطفى أبو ضيف أحمد، *القبائل العربية في الأندلس*، ص٧٩ نقلاً عن أحمد بدر، *دراسات في تاريخ الأندلس*، ولكنني لم أجدها في المرجع الذي أشار إليه.

للأندلس. وقد أحدث هذا شقًا في جسم السلطة العليا التي كان عليها مسؤولية المحافظة على الوحدة الأندلسية، حيث بقي على رأس الفريق المحافظ على هذه الوحدة عبدالعزيز بن موسى بن نصير وقلة من الذين أيدوه في موقفه. بينما ظهر في الفريق المنشق طبقة حلمت أن يكون لها نصيب من سلطة في زمن التسابق على إحراز السلطات.

أمام شيوع مثل هذه التوجهات التي لم تسلم منها حتى المؤسسة الحاكمة للأندلس غدا عبدالعزيز بن موسى بن نصير ليس فقط الرمز الداعي لوحدة الأندلس، ولكن وجوده أصبح يمثل العقبة الكبيرة الواقفة حائلاً أمام تقطيع الآخرين لأراضي الأندلس. لم يكن عبدالعزيز بذلك الرجل الذي استوجب قتله بسبب وقوعه تحت إغراءات زوجه ارتكب الشائنة من الأفعال المخلة بدينه وبشخصه، ولم يكن كذلك الحاكم الإقليمي الذي يتوجب الوقوف أمامه لأنه أراد الاستقلال بإقليمه عن الخلافة. لم يكن كل ذلك أو ذاك، بل كان العائق لمن رأى فيه عائقًا أمام تحقيقهم لرغباتهم. ولعلنا على ضوء ذلك يمكن الآن أن نفهم عبارة «النقمة التي ذكرها الرازي ولم يوضحها،» فالنقمة كانت هي الوقفة الزامرة إلى الوحدة الأندلسية التي وقفها عبدالعزيز، وكانت هي أيضًا الأعمال التي قام بها لتحقيق تلك الوحدة للأندلس، وعليه كان الرمز المعيق الذي يستوجب ليس فقط إزالته عن الطريق ولكن التضحية به إذا أمكن.

كان عبدالعزيز بن موسى بن نصير وبسبب عوامل ليس له دخل في أكثرها، ضحية سهلة وعقبة يمكن إزالتها عن الطريق بيسر. أولاً المدة الزمنية التي حكم فيها الأندلس لم تكن كافية لكي يبني لنفسه هيبة الحاكم ولا النظرة الاعتبارية. فهو علاوة على أنه لم يتمكن من أن يملأ ذلك الفراغ الكبير الذي شعرت به الأندلس بعد مغادرة موسى بن نصير لها، إلا أنه كان دومًا الخاسر حين المقارنة بينه وبين موسى. وكان هذا أولى بدايات إضعاف صورته أمام من خططوا للتخلص منه، لأن هؤلاء لم ينظروا لأنفسهم كأنداد متساوين له فقط، ولكن رأوا توافر جوانب في أنفسهم لم تكن متوافرة فيه. وتأتي على رأس هذه الجوانب قضية نسب عبدالعزيز وآل موسى عموما وما يقود ذلك إلى الاستناد على العصبيات وتمييز القوي منها والضعيف. وفي هذا التمايز كانت القوة تميل إلى جانب الذين وقفوا ضد عبدالعزيز أكثر منها لجانب عبدالعزيز. لقد حصر إبراهيم بيضون صراع المواجهة بين آل موسى ويمثلهم آنذاك عبدالعزيز وبين الفهريين ويمثلهم عندئذ حبيب بن أبي عبيدة

الفهري، رأس العصبة المتآمرة ضد عبدالعزيز.[١٠٣] فالمواجهة في هذه الصورة تبقى بين آل موسى والفهريين، آل موسى حكام المغرب والأندلس حينذاك والفهريون حكام المغرب في السابق أو كما قال بيضون بين حاكمين وبين من كانوا حاكمين.[١٠٤]

ليس من السهل الوصول إلى حكم قاطع فيما يخص نسب آل موسى. فهناك مصادر تنسبهم إلى أصول غير عربية اعتمادا على المعلومات المتوافرة من أن نصير والد موسى وهو جد عبدالعزيز كان أصلاً من سبايا بلدة (عين التمر) في العراق.[١٠٥] بخلاف مصادر أخرى تؤكد على أصولهم العربية من بني لخم. وقد توصل محمود شيت خطاب إلى هذا التأكيد في دراسته عن عبدالعزيز بن موسى بالقول إن الذين نسبوا آل موسى إلى أصول غير عربية كانوا في الواقع هم أعداء هذه الأسرة وبالتالي، على حد رأيه، يعتبر هذا الادعاء أمرًا لا يمكن الأخذ به وتصديقه.[١٠٦]

مثلما كان نسب آل موسى موضوعًا قابلاً للتداول بين المؤرخين، كانت صحة انتساب حبيب بن أبي عبيدة إلى عقبة بن نافع وإلى الفهريين عموما موضوعا تأرجح فيه المؤرخون بين الرفض والقبول. لقد أكد ابن حزم الأندلسي على صحة نسب حبيب بن عبيدة إلى عقبة بن نافع.[١٠٧] وقد توصل حسين مؤنس بعد دراسته لسلسلة أسرة عقبة إلى صحة النسب أيضًا. ولكن ابن الأبار نقلاً عن ابن حيان نفى هذا الانتساب[١٠٨] وقد وافقه على ذلك ابن الكردويوس.[١٠٩] وقد زاد ابن قتيبة الشك في صحة النسب فيما رواه عن أن

---

(١٠٣) إبراهيم بيضون، *الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس*، ص٧٥.

(١٠٤) إبراهيم بيضون، *الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس*، ص٧٥.

(١٠٥) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، *الكامل في التاريخ* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، جـ٢، ص٢٧٠.

(١٠٦) محمود شيت خطّاب، *عبدالعزيز بن موسى بن نصير اللخمي، فاتح شطر الأندلس*، ص٥٧.

(١٠٧) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، *جمهرة أنساب العرب* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م)، ص٦٦.

(١٠٨) ابن الأبار، *الحلة السيراء*، جـ٢، ص٣٤٣؛ انظر دراسة مؤنس في التعليقة رقم ١، ص٣٤٢؛ وكذلك رسم شجرة هذه الأسرة، ص٣٤٣.

(١٠٩) ابن الأبار، *الحلة السيراء*، جـ٢، ص٣٤٧؛ ابن الكرويوس، *تاريخ الأندلس*، ص ٤٧.

موسى بن نصير حينما رأى حبيب بن أبي عبيدة لدى الخليفة سليمان بن عبدالعزيز عند حمل رأس عبدالعزيز هناك بعد قتله التفت إليه وكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمرًا خفيًا عن نسبه فأقحمه.(١١٠)

ولكن فيما يبدو أن النسب، على الرغم من أثره المحرك للدوافع، لم يكن الدافع الأول الذي حرك حبيب بن أبي عبيدة ضد عبدالعزيز. فالمحرك الأول فيما يبدو كان في الحقيقة الاستناد على الإنجازات السابقة لآل عقبة بن نافع في المغرب. وكما يقول مؤنس فالفهريون كانوا يرون أنهم أصحاب الحق في الولاية والحكم في المغرب والأندلس. وكانوا يعزون موقفهم ليس إلى العامل السابق فحسب ولكن أيضًا يؤكدون على انتسابهم لقريش أولاً وإلى التأييد الواسع الذي كانوا يستمدونه من القبائل اليمنية وهم حين ذاك يشكلون الغالبية العظمى من جند العرب في الأندلس. كل هذه الدعائم ارتكز عليها حبيب بن أبي عبيدة في تشكيل عصبة تنحية عبدالعزيز الذي كان يشكل رأس الأسرة المستأثرة على حكم الأندلس في نظره. ولقد بدا ذلك واضحًا في استلابه قيادة العصبة من زياد بن النابغة الذي كان حقيقة هو المحرك الأنشط للعصبة ضد عبدالعزيز.

من قراءة الوقائع التاريخية الخلفية لحادثة الاغتيال يمكن القول إن مضي عبدالعزيز في خلق أساسات الوحدة الأندلسية ونجاحه النسبي في هذا التوجه كان الدافع المحرك لعصبة التآمر للاستعجال بالتخلص منه. فالعصبة بدون شك كانت مدركة للفراغ القيادي الذي أحدثه خروج موسى من الأندلس وفوق ذلك كانت واعية للفرصة التي خلقت لها بهذا الفراغ. ولكن أعمال عبدالعزيز الهادفة إلى توحيد الأندلس بعد نجاحه العسكري كفاتح ثالث لها بدأ يعطي انطباعًا لدى عصبة المتآمرين بأنهم إذا لم يواجهوا عبدالعزيز مواجهة حاسمة فإنهم بذلك يكونون قد أضاعوا لأنفسهم الفرصة التي لاحت للوصول إلى أحلام السلطة في الأندلس، خاصة وأن أي تهاون من جانبهم سوف يعطي لعبدالعزيز الفرصة لتعويض الفراغ الذي أحدث في الأندلس على أثر خروج والده، كما يؤدي ذلك إلى استمرار وتدعيم سلطة وحكم آل موسى في الأندلس، فالأندلس، كما تراءت للفهريين، كانت تمثل أرض تحقيق سلطة سياسية لهم طالما حلموا بإقامتها.

---

(١١٠) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ١٨٤.

بتلك الدوافع بدأت العصبة تدخل مرحلة المواجهة ضد عبدالعزيز. وقد تمثل ذلك بعدة خطوات، لعل أولاها كانت ترويج شائعات ضد عبدالعزيز الغرض منها إلحاق الإساءة الشخصية له وسلبه من فرص رد المواجهة من جهته. لذا كانت الاختلاقات القصصية من وقوعه تحت تأثير زوجه والوقوع في المحرمات المخلة بشخصه أولاً وبمركزه ثانيًا. ثم تلا ذلك مرحلة إفساد العلاقة بينه وبين الخلافة في دمشق مستفيدة من العلاقة غير الحسنة التي كانت قد سادت بين موسى بن نصير وسليمان بن عبدالملك. وقد نجح المتآمرون في الوصول إلى ما كانوا يبتغونه عندما وصلهم أمر الخليفة بالتخلص من عبدالعزيز ووعد مشفوع بأن من يقوم بذلك سوف يتولى أمر الأندلس من بعده،(١١١) وقد تم كل ذلك بدون أن يعرف عبدالعزيز ما كان يحاك ضده.

إن احتمالات أن تكون دوافع اغتيال عبدالعزيز بن موسى بن نصير هي الأسباب التي ذكرناها تبقى هي الأقوى. فعبدالعزيز لم يقتل لتهاون ديني أو تصلب سياسي أو ضعف شخصي، فكل ما قيل عنه بهذا الخصوص، وكل ما اتهم به لا يعدو عن كونه ذرائع موضوعة لإخفاء هدف مدفوع إليه بدوافع ليس لها صلة بكل تلك الادعاءات. اغتيل عبدالعزيز لأنه كان عائقًا أمام قوى تحلم بالسلطة التي كان هو عليها. وبينما عمل هو مخلصًا لهذه السلطة حارمًا نفسه من المباهج التي كان بإمكانها أن توفرها له كان الآخرون يحلمون بتلك المباهج التي لم يستمتع بها هو أصلاً. ولذا كان هو ضحية مثلما كان والده أيضًا ضحية شائعات أوصلت إلى الخليفة افتراء، كما أن سليمان بن عبدالملك كان هو الآخر ضحية حينما صدق الشائعات التي وصلت إلى أسماعه كذبًا.

لقد كان لاغتيال عبدالعزيز بن موسى بن نصير أثره العيق في إحداث جرح غائر في جسم الأندلس، لم تتمكن من الشفاء منه لأمد طويل. ولقد رأينا ما أحدثه هذا الحدث المروع من النكبات المتوالية التي عاشها المسلمون في فترة ما يعرف بعصر الولاة. ورأينا استمرار تأثيره في الصراع الأبدي الذي كان على الأندلس أن تعيشه بين أصحاب الدعوة إلى أندلس موحدة وبين الذين كانوا دومًا يتطلعون إلى تمزيقها. لكن الحديث عن كل ذلك يبقى خارج إطار بحثنا هذا. ولكن إذا كان هناك ما يمكن أن نختم به هذا البحث فإن

---

(١١١) ابن قتيبة، *الإمامة والسياسة*، ص ١٨١.

هذا سوف يكون في القول إن مقتل أحد الفاتحين وأول حاكم للأندلس لم يكن بحد ذاته أمرًا هينًا.

الخاتمـــة

في أقـل من سنتـين منذ توليته ولاية الأندلس كأول حاكم مسلم يتولى أمرها بعد الفتـح، قتـل عبـدالعزيز بن موسى بن نصير غيلة. ولا جدال أنها كانت كارثة مفجعة للمسلمين الذين يخطون خطواتهم الأولى في تلك الأرض المتنائية بعدًا عن عوالم الإسلام الأخرى. لقد كان حدثًا محزنًا بدل أفراح الانتصارات الإسلامية الباهرة المصاحبة للفتح إلى آلام وخوف مما ينتظر المسلمين في أيامهم القادمة.

ردة الفعـل المنـطقية لهذه الفاجعة المهولة كان ولا يزال هو السؤال عن السبب أو الأسباب التي أدت إلى قتل عبدالعزيز بن موسى؟ وما هي التهمة الموجهة إليه؟ ولماذا كانت تلك النهاية الشنيعة على يد رجال كان قد وثق بهم للمحافظة عليه بدلاً من الانقلاب عليه؟ ولكن وكأنه كان مكتوبًا على تلك الحادثة أن تعيش محبوسة في مصيبتها، وأتت الإجابات عن تلك التساؤلات حاملة كل معاني الإدانة والتشويه لكل الأطراف الذين كانوا ضلعًا فيها، ولم يوجد فيها في المقابل تبريرًا مقنعًا أو تبرئة لأحد أو لطرف. لقد اهتم المؤرخون بالحادثة وبحثوا عن ملابساتها وأسبابها، ووجدوا ما يشبع نهمهم وما يزيد. ولكنهم في الوقت نفسه وجدوا أن هذا القدر الوافر من المعلومات المدونة في المصادر التاريخية، على الرغم من وفرتها، إلا أنها تحوي نقاط ضعف وتناقضات وخيالات روائية موضوعة عن أحداث مليئة بالاختـلاقـات المضخمـة والمنـطلقـة من أضعف الاحتمالات العقلية وأقصاها بعدًا عن الحدوث. وقد وجد المؤرخون علاوة على ما قيل التفسير الرسمي الذي يعكس فقط وجهة نظر الذين قاموا بالجريمة، ولم يجدوا في الطرف الآخر ما يعبر عن مواقف عبدالعزيز الذي أوقع به القتل عمدًا وبسابق إصرار.

إن ما قيل كثـير، ولكن مما قيل إن عبـدالعزيز، وهو الفاتح الثالث للأندلس من الموجهة العسكرية بعد موسى بن نصير وطارق بن زياد، قد سرقته مباهج الحياة الأندلسية الرغدة بتأثير زوجه التي كانت سابقًا زوج آخر ملك قوطي لإيبيريا. وقيل أيضًا إن زوجه هذه قد تمكنت منه وأنسته واجباته الدينية والتزاماته الشخصية. وقيل إنه وضع تاجًا صنعته

زوجه تشبهًا بملوك القوط النصارى. وزيد عليه أنه صغّر باب الدخول عليه ليدخل الداخلون سجودًا، كما كان يسجد نصارى القوط لملوكهم. وكأن ذلك لم يكن كافيًا لإلحاق القدر الأكبر من الإساءة لعبدالعزيز وشخصه. فقد واصل المسيئون إليه بترويج شائعات مفادها أن عبدالعزيز استحق القتل لأنه خرج عن وحدة الخلافة بنيته الاستقلال بالأندلس.

لقد حاول هذا البحث أن يخضع كل ما قيل عن عبدالعزيز وأسباب استحقاقه للقتل للمعاينة المتمعنة. وعليه درست كل الروايات التاريخية التي ارتبطت مع هذه الأقوال دراسة نقدية وتحليلية. وقد استند إلى الوقائع التاريخية المتزامنة لحدوث واقعة القتل مستعمِّلا إياها كخلفية يمكن تفسير ملابسات القتل وأسبابه ودوافعه عليها. وكذلك توجه البحث إلى كل ما أسهم به المؤرخون قديمًا وحديثًا لبناء إطار أقوى لفهم الحادثة من خلال تلك الإسهامات. وحينما لم يجد البحث وسائل أخرى يمكن الاستناد عليها توجه إلى التفسيرات المنطقية ليسد بها الفجوات التي بقيت مفتوحة. وقد انتهى بعد ذلك إلى أرضية أكثر صلابة ليعلن من عليها عدم تقبل البحث لكل ما حوته تلك الروايات التي تبرر أسباب مقتل عبدالعزيز. وبذلك الرفض طرح البحث بدائل محتملة أقرب إلى أن تكون هي الأسباب التي أنهت حياة عبدالعزيز. وخلصت من كل ذلك إلى استنتاج محتمل يكمن في أن معرفة أسباب القتل لا ينبغي أن يحصر في الشائعات المروجة رسميًا، ولكن ينبغي أن يبحث ضمن إطار الظروف التاريخية المرحلية التي كانت الأندلس تمر بها في مرحلتها المبكرة تلك والانتقالية من الحكم القوطي إلى الحكم الإسلامي بعد الانتهاء من الفتح.

وبالعمل بما اقترحناه لأنفسنا، تبين أن أسباب القتل ودوافعه كانت أندلسية محضة مع الحد الأدنى من المؤثرات الخارجية. إن المرحلة الانتقالية التي كانت الأندلس تمر بها في زمن حدوث واقعة القتل وما صاحبها من ضعف مفاجيء تمثل في خروج فاتحي الأندلس موسى وطارق، وما نتج عن ذلك من فراغ في هيبة السلطة الحاكمة القادرة على نقل الأندلس إلى عصرها الإسلامي الجديد، قد أدى إلى نوع من الصراع على السلطة بين أصحاب الدعوة إلى خلق أندلس موحدة وبين أصحاب التوجهات الاستقلالية التي كانت تنادي إلى تقاسمها، أي بمعنى آخر بين الدعاة إلى المركزية وبين الدعاة إلى اللامركزية الأندلسية.

ونظرًا لأن عبدالعزيز كان يمثل رأس السلطة الداعية إلى الوحدة المركزية الأندلسية ولأنه كان قد مضى قدمًا في تحقيق ذلك المطلب للأندلس، فإنه بذلك أصبح عقبة مانعة ضد أصحاب التوجهات الاستقلالية والطامحين إلى الحكم.

لذا فقد كان حتميًا أن يؤدي ذلك إلى الصدام والمواجهة فالأطراف المتنازعة كانت كل واحدة منها تدعي لنفسها حقوقًا إما لأنها أسهمت في الفتح ورغبت في الاستئثار بالمنطقة التي فتحتها، وإما لأنها رأت في نفسها حقوقًا في الحكم باستنادها إلى الانتساب إلى أسر كانت لها إسهاماتها العسكرية في الفتوحات أو لأنها كانت على رأس الحكم كما هو الحال مع عبدالعزيز.

مثلما كانت المواجهة حتمية، كان وقوع ضحايا لتلك المواجهة أيضًا أمرًا حتميًا. ونظرًا لأن عبدالعزيز كان هو الوحيد الذي لم يكن قد شارك في تلك المؤامرات، على الرغم من أنه كان الهدف الرئيس لبقية المتآمرين. لذا كان من السهل عليه أن يقع ضحية لتلك المواجهات التي خلّفت في الأندلس، وعلى مدى تاريخها الطويل، مرضًا لم تتمكن من التخلص منه على الإطلاق. كنتيجة لهذه الحادثة المروعة، غدت قصة الأندلس الطويلة هي قصة الكر والفر بين السلطة المركزية وبين السلطات اللامركزية أي بين الحاكمة لكل الأندلس وبين الحالمة لحكم قطعة منها. والقصة هذه كانت أحد أسباب خروج المسلمين النهائي من الأندلس.

Abd al-Aziz b. Musa b. Nusair and the Causes for His Assassination: An Analytical Study of the Early History of al-Andalus

Abdulghafour I. Rozi

Assistant Professor, History Department, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. If history, as is often suggested by historians, is inseparable from myth, this notion is indeed true with the early history of al-Andalus. The sweeping changes of events during the period in question have not only created an entanglement between reality and imagination, but have also made the period one of the most attractive to historians of the history of al-Andalus.

This study is an attempt to disentangle myths from facts. As such, it deals with the assassination of Abd al-Aziz b. Musa b. Nusair, one of the leaders of the conquest and the first governer of al-Andalus. The study deals with accounts given by historians as reasons for the assassination. Foremost among those reasons is Abd al-Aziz's surrendering to the wishes of his wife, the former wife of Ridrigo the last Visigoth King of the Iberian peninsula. By closely examining these accounts, the study reaches a conclusion discounting them as well as the account suggesting that the Umayyad caliph took part in the assassination. The study concludes that the assassination was caused by the events shaping the establishment of the first Islamic government in al-Andalus.